البداية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد المخطوطات العربية - الكويت

اسم المخطوط جامع الأغصان الجنية إلى الديار المصرية

اسم المؤلف محب الدين محمد تقي الدين أبي بكر بن داود الحنفي ، المتوفى ١٠١٦هـ/١٦١٨م

عدد الأوراق ٤٦ المقاس ١٨ × ٢٤ سم

مصدر التصوير مكتبة الأسد الوطنية - دمشق (الظاهرية - مجاميع)

الرقم في مصدر التصوير ٦٩٨٥ مجموع

تاريخ التصوير ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٧هـ = ٢٥/١١/١٩٨٦م.

ملاحظات نسخة كتبت بقلم معتاد متأخر ، وكتبت العنوانات بالحمرة . تحتوي ضمن مجموعة (الكتاب الأول) .

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٦٩٨٥

هذه رحلة سعادة الماضي بحب الدين
الحموي المسمى بنزهة الألفاظ
النجدية في الديار المصرية
رحمه الله تعالى

اشتري
رقم ٦٩٨٥ ظ

C.A.C.

بسم الله الرحمن الرحيم

[redacted] احلى ما ننطق به السنة الافاضل [redacted] ما تتحلى به اسماع ذوي الافهام. محمد الله سبحانه على نعمه [redacted] وشكره واهب المنن على الدوام المتواليه المتواتره. والصلوة والسلام [redacted] محمد المخصوص بالكرامه وعلى اله وصحبه في السفر والاقامه. [redacted] من لهم باحسن سبيل واقوم طريق. ومن تبعهم باحسان وتصديق. [redacted] غريب الى اوطانه وجذبته دواعي الشوق الى احبابه واخوانه. [redacted] فقد قصدت ان اثبت في هذه الاوراق رحلتي الى الديار [redacted] صحبة فاضي قضاتها صاحب النفس القدسيه. والخصال المكيه [redacted] شيخ الاسلام وملك العلماء الاعلام. فخر الموالي المدققين [redacted] الافاضل المحققين شمس الملة والدنيا والدين. الشهير بجوي [redacted] اعطاه الله تعالى في الدارين مراده. ولازال بابه الشريف [redacted] الافاضل. وعتبته ملثم شفاه الاماثل. وذلك اني لما اعتزمت [redacted] عتبته الشريفه اعتراني الماء بالراح. وتقويت بقاياه تقوى الرشاش [redacted] الرواح. وما ذاك الا ان لمحة الاديب لما الفت شمائله [redacted] برفيع جنابه لخصائص آدابه. وتشرفت بصحبته وخدمته [redacted] على بما قيل ان السفر ينبغي نظفر. ومفارقة الوطن تعقب [redacted] من فطن. فلما خبرته حالي كان بيننا لشمالي. وصحبني معه الى [redacted] واسرى

الى

الى ما اعجز عن شكره من نعمه المتوافره

ازافني العبس الذي انا ابغضه ٥ وبلغني الحظ الذي انا ارضه ..

وعلمني كيف المدايح فعلمه ، وما كنت ادري ما المدائح قوله ..

وشاركني في المرتع والمربع ٥ واهلني محل الاثرة من الاصبع ..

وحقق اماني وقرن مجالسي ٥ وايثني كاس النوال مروقا ..

وقبلني بالمكرمات اماترني ٥ لساني له بالشكر اصبح مطلقا ..

وكان في ذلك الاوان قد اتصل بالمسامع الشريفه ٥ انهي الى المواقف العاليه المنيفه ان طائفه من الفجاري قد جدد رواتب في الكنيسه المعلومه بالقدس الشريف ٥ وورد الاوامر الكريمه لمولانا المشار اليه بالخطاب بالمجيء به المنيف ٥ ولمولانا مخر الموالي الكرام فوزي افندي المفتي بدمشق الشام ٥ ان يتوجه للنظر في ذلك بنفسها الكريمه ٥ ويفتش على الكنيسه المذكوره ٥ وما زاده الكفار على ابنيتها القديمه ٥ فاقتضى الحال ايضا توجه مولانا المفتي المشار اليه ٥ اسبغ الله تعالى نعمه عليه ٥ للتفتيش على الكنيسه المذكورة والكشف عليها ٥ امتثالا للاوامر الشريفه المشار اليها ٥ وكان ابتداء سفرنا المبارك من دمشق الشام ٥ يوم الاثنين ثامن عشر شهر شعبان سنة ثمان وسبعين ومائتين والف احسن الله تعالى لها الختام ٥ وفارقنا تلك الاوطان وتركنا بالاثر الحسن خلفنا الطيب مرشها عند من فارقناه فيها من افاضل الاخوان ٥ ولله در القائل

لي في الشام بضعة خلفتها ٥ او بعضا يوم الفراق تودعني ..

واظنها لو بل بضعا انها ٥ قلبي فاني لا اري قلبي معي ..

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم سرنا في ظل هذا المولى المشار اليه اسبغ الله تعالى فضله عليه منشرحي
الصدور مصادفين من بره ولطفه ما يوجب غاية السرور مع اصحاب
كالنجوم الزواهر بل احباب كالبدور الزواهر منتظمين كنجوم الجوزا
والجدي الى سنة الاوجزا .

٠٠ ما في الصحاب وقد بانت حولهم ٠ لا محب له في الركب محبوب
٠٠ كانما يوسف في كل مرحلة ٠ والحي في كل بيت فيه يعقوب

وما كان نقطع واديا بولا نشهد ناديا الا وتتجاذب اطراف الاناشيد
وتتوارد اطراف الاسانيد .

٠ اخذنا باطراف الاحاديث بيننا ٠ وسرنا باعناق المطي الارابح

وكان مولانا بلغه الله تعالى غاية الامال يجل حضرة المشار اليه
غاية الاجلال ٠ وفي غالب الظرف يجلسه في المحفة مكانه وكان
له عنده من زيادة التعظيم مكان على مقتضى ما جبله الله تعالى عليه من
لطف الاخلاق ، وسلامة الطبع التي والله ما اتصف بها احد سواه
على الاطلاق ، وتهذيب نفس شريفة ولكن اي تهذيب ، واوفاها
تواضع وخلق عجيب

٠ زادوه تعظيما وزادتواضعا ٠ الله اكبر هكذا البشر السوي ٠

ولعمري هو المعنى بقول الشاعر

٠٠ اما ترى العلم في ارض صدوره ٠ جبال جبال الارض وهي قفر
٠٠ تفكره علم ومنطقه حكم ٠ وباطنه دين وظاهره ظرف

وكان قائما بلوازم المشار اليه وخدمه وكلفه وخرجه في الذهاب
والاياب وسائر مصرفه حتى ارسل اليه عند ايابه الى دمشق من العين

قدر اجزيلا ، وكان له في هذه السفرة نعم الخلف واكرم به خليفا ، ثم
لما كان خامس عشري الشهر المذكور ، وصلنا الى المنزل بلوبية ، فصادفنا
فخر المولى معلول زاده افندي دامت معاليه وصل الى المكان المذكور
ونزل فيه فاستقبل مولانا قاضي القضاة المشار اليه ، ولما تلاقيا
حيي كل صاحبه بالسلام وعرض قصة السوق عليه ، وكانت سوابق
الركب تقدمت الى المنزل المعروف بعيون التجار مع الاحمال والخيام
المتعلقة بمولانا ذي القدر الاجل واقتضى الحال النزول في هذا
المكان وقلنا لامرء ما قال الشاعر عرف المحل فجات دون المنزل
وكان تاخر صحبة مولانا من قسم الخيام بيت التركمان الذي اصطفه
في دمشق لنفسه فنزل تلك الليلة فيه واتى المولى المشار اليه لاقتضاء
مصاحبة ولذيذ انسه ، وكان ثالثهما حضرة المفتي حفظ الله تعالى
جنابه الخطير ورابعهم خادمهم الحقير ، ومضت تلك الليلة بلطيف
المحادثة والمسامرة ، وكان الغالب في المحل ذكر احوال علماء الشام
والقاهرة ، ثم اوصى مولانا المولى المشار اليه في شان اربعة انفار
من طلبة العلم بمصر واكد في ذلك عليه بحيث امر العبد بكتابة
اسمائهم لتدوينها ، فعجبنا من تخصيصهم بالذكر دون من عداهم
وصار عندنا تلفت الى المذكورين لعلم المزية التي استحقوا بها هذا
التخصيص واستوجبوا بسببها الايثار بالذكر والتنصيص حتى
طابقنا مسمياتهم على اسمائهم بالعدم ، وعرفناهم بالكنه فاذا هم
متساووا الاقدام ، ثم لما بدت غرة الفجر ولاح ، واستضوء
الصباح ناهيك كل المقدمات الرحيل وتدفيرها وقصد السير الى الجهة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التي هو مولها، فسار مولانا قاضي القضاة اسبغ الله تعالى عليه
لتوديع ذلك المولى الى المكان الذي استقبله فيه فلما انقضى التوديع
وعزما على الترحال انطلقنا ذات اليمين وانطلق ذات الشمال
وفي اخر نهار السبت سابع شعبان بدنان لله فلما قاربنا وصولها ووافينا
دخولها ونحن سائرون في خدمة المشار اليه ستة هدون وجهه
الورغ اذ شاهدنا انها هلال رمضان المعظم فصرنا نقول
فكانا هلال عند النظر فعند ذلك نوينا الدخول صوما واقمنا
بها يوما ويوما قضاء لحق ما وجب من مظنة المشقة والتعب
ثم ان مولانا كان يقتنص في هذا الشهر لمد الموائد وتجريها على ما هو
المعهود منه من اجمل العوائد مشتملة من النفائس على ما يعجز عن
وصفه الالسن وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين

• لجودك يا قاضي القضاة مزية • على السحب لا تخفى على من له لب
• فاول جود الغيث قطر مبدد • وغيث ندى الجم اول سكب

ومن حينئذ توارد طلبة العلم المصريون لاستقبال مولانا واتوا الى
خدمته الشريفة رجالا وركبانا وصاروا من بعد ذلك يتعاقبون
واقبلوا الى كل حدب ينسلون ثم لما كان اليوم السفر فجره عن ثاني
رمضان المعظم قدره قصدنا مشهد سيدنا زكريا وتحيى عليهما السلام
بنية الزيارة ومشهد معاذ وبقية الاماكن المشهورة وارنا ره
ورزقنا الله تعالى بادعيته مقبولة وبالاجابة انه موصوله
ثم وجهنا الوجه الى القدس الشريف لاستباق الخيرات وللقيام
بحق ما يتعين في تلك الاماكن الشريفة من الزيارات فلما اكدنا

بلا

بلا استدراك ان المزار غريب ومزارنا مصاحبي السرور والاستبشار متمثلين
بقول القائل

• وابرح ما يكون النوى يوما • اذا دنت الديار من الديار •

فبينما نحن فتوارد ظرفا الاخبار وتطارح ملح الاسمار اذ تطفل
شخص من طلبة العلم المصريين يلقب بالجمل وارخى نفسه في البين
واعترض اعتراض الجمل فصدان يدلي دلوه في هذه الحياض ويفصل
بين وصل ما نظارحه بجمل الاعتراض وكان يستثقل ظله ويستبرد طله
لانه اذا اورد كلاما غير مستقيم ما نراه الا في ليل الوهم بهيم فنسا
من شكاسة مصاحبته ما اورث الضنا وكاد لسان الحال بلسان المقال
ان يقول له ارحل لا تقيم عندنا فاسطر الكلام الى مدح رمضان
الشام فاوردنا شيئا من الشواهد على لطفها وتفضيلها على سائر الاشهر
واوردنا في ذلك ما بيننا مدام رائق الاشعار فاورد الفقير في
اثناء المصاحبة وانشد في ذلك المقام بالمناسبة الابيات المشهورة
في مدحها ومدح جامعها والقاطنين الواردة في معنى ذلك
المطربة لسامعها الى ان انتهى الى قول ابن نباته

• ارى الحسن مجموعا بجامع جلقي • وفي صدره صلى الرضا مشروح •

فان يتعالى بالجوامع معشره فقل لهم بابا الزيادة تفتح •
فنفرض الرجل المصري للاعتراض ونصب نفسه عرضا للسهام
وقال يا مولانا ما جلق الا بضم الجيم وفتح اللام فقلت له ليس
الامر كما وهمت والصواب خلاف ما فرضت لان علماء اللغة قرروا
ونقلوا في كتبهم وحرروا ان في ماده الجيم واللام والقاف

تكون الجيم واللام مكسورتين بلا خلاف فكان يتكلم بما لا يشفي العليل
وطلب من الفقير بعد نقله كلام اهل اللغة الدليل، وقال هذا خلاف
المشهور في الانام، فقلت له نعم هو من اغلاط مثلك من العوام ثم
انه نزل عن حماره وساقه امامه، وحاول ان يصحح بالغلط كلامه
فقصد مولانا المفتي الى الهزء به والتبكيت، واراد الزامه باللطف
وحسن التثبيت، وقال له يا شيخ ليس الامر كذلك، فان اردت
نظير غلطك فانظر الى حمارك، فان ما ذكره مولانا كلام سليم
ليس عليه غبار، وما مثل غلطك الا كمثل الحمار، فان العوام تضم الحاء
منه وهي مكسوره، وامثال ذلك كثير من الاغلاط المشهوره، فاستحى
الفقير منه هذا المقال وقال له لله درك يا مولاي من مفضال وفهم
ما لمح اليه من قصد الازدواج، وطفح علينا السرور والابتهاج، فلما
لاحظنا ثانيا المذكور من ضرب مولانا له بهذا المثل وانحرف مزاجه
من ايراده وانفعل طفقنا نخاطبه مخاطبة المثل، وقلنا له تالله
ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا، وكانت اخذت منا السري فلوينا
الرعن لقصد الاستراحه ونلطفنا مع المذكور وعاملناه معاملة اهل
السماحة، واوينا الى اشجار ذات ظل ظليل، ونلونا على ان يهدينا
ربنا سواء السبيل، ولكن بنا الحال مع المذكور برهة من الزمان قعودا
وسترعنا في المقام ما حصل من جرحان تلك السهام خشية ان يكون جمودا
وتنبينا الكلام عما كنا فيه من المصاحبة وقصدنا الى تلوين الخطاب
ارادة للاطفة معه والمداعبة، اذ بمثل ذلك تطوى نفثة الاضغان
وتزول موجبات الاتعاب والاكدار، ثم التفتنا الى صاحبنا الشيخ

الفاضل مجموعي الفقاني الشيخ علي المالكي بلطف خطاب وتنبيه، وقلنا
له ان هذا الشيخ بلديك وصاحب البيت ادرى بالذي فيه، فبين لنا بحسنة
مناسبة وضع هذا اللقب وفص عنا في وقتنا هذا ما تقضي منه بالعجب
فقال يا مولانا لا تحكموا على بلزوم ما لا يلزم ولا تكلفوني الى ان اخبر
بما لا اعلم، على ان بعض الاعلام قد يغفل حال الوضع عن مناسباتها
وينبغي ان تلحق هذه بأخواتها وما هذه باول قارورة كسرت في الاسلام
فان لهذا الاسم حسن ايضا بدمشق الشام، فقلنا يا مولانا ان ما ذكرته
كلام محقق، ولكن قد نفرق بينهما بان ذاك مقيد وهذا مطلق
فلم ار لنا في لفظ المقيد من حسن التوجيه ما لا يخفى على الفاضل النبيه
كتب الفقير في معنى ذلك حسب ما اقتضاه الحال ثلاثة ابيات فقال

- فسر على الجمل الذي في جبق ... جماد بمصر وفي الخفية نفرق
- ان الذي في ان م جا مقيدا ... بالطبل ازيدي وهذا اطلق
- واللفظ افرد ما يكون اداتي ... فيه الخصوص لكنه تتحقق

ولعل هذا الحال وقع في المحل حيث وجب لعدم الانفكاك وهذا
هو الحال المفيد لصاحبه بلا اشكال سبحان الله والشيء بالشيء
يذكر، وقد ذكرنا هذه الواقعة ان بعض المصريين المتردين الى
القسطنطينية كان يجي لمصاحبة الفقير في الديار المصريه فاتجر
الكلام يوما واستطرد القول الى المقيد المذكور فذكرنا ان بعض
الظرفا المصريين لقبه لهناك فلقب بابي الهول فضجت من
مناسبة هذه الكنيه غاية العجب وقلت ما اشبه مناسبتها له
بمناسبة ذلك اللقب، ووجدت مطابقة هذا اللفظ للموضوع له

أوضح من الفلق. ووافقاله موافقة الشن للطبق فكتب الفقير في
هذا المعنى مقطوعين في الحال. احب العبدان ينصلا بهذا المقال

• راه البعض من طرفا مصره. وهال القوم منظره الغريب •
• وقالوا انه شكل مهول. فكنوه ابو الهول العجيب •

ثم اشرفنا على القدس الشريف اخر ذلك النهار. ودخلنا بعد غروب
شمسه. واستقر منزل مولانا قاضي القضاة متع الله تعالى بوجوده
الشريف وانسه. بالمدرسة المعوره. وبالقاتبائية مشهوره. امكن
الله تعالى بانيها في الجنان اعلى القصور وشكر سعيه وضاعف له
الاجور. ولعمري لم نشهد العين احسن من بنائها ولا اعلى ولم
يتسع النظر بالطف من روفقه ولا اعلى فكانها من حسنها وبهائها
بنيت قواعدها على الوفاق. لاسيما اذا وافقها الشمس بحسن الغاية
من المشرق بكاسات برقها يذهب بالابصار. وفي الحقيقة من نظر
حق النظر علم ان هذا الانس انما اكتسبته من عطف الجوار ترتبنا
ليلة الوصول مع حضرة المفتي في ارض الحرم الشريف ورحبة الكبيسة
لتدارك اماكن للنزول في الصبيحة فعند ذلك كتب الفقير لمولانا
شيخ الاسلام الشيخ عبد الغني بن جماعه بعض ابيات يلتمس
فيه منزلا في تلك الناحيه صورتها

• يا شيخ الاسلام من عمت فضائله. كل الانام وخصتهم فواضله •
• من فاق في العلم اهل العصر قاطبة. فليس يوجد فيهم من يطاوله •
• اني المحب الى عالي مقامكم الـ. سامي المكان الذي ما خاب امله •
• وليس يدري به يا سيدي سكنا. كلا ولا مسكنا يأويه راحله •

• فصار كالحوت في البيد افهل سبب. في مسكن فجا البرعاجله •
• لا زال بالعلم الذي تحط رحا. ل العلم بالسعد معمور منازله •

ثم ان الشيخ المشار اليه اعلا الله تعالى رفيع مقداره هباء لمولانا
المفتى دار اتجاه داره وانزل الفقير في مكان داخل منزله الرفيع
المقام. وعاملنا بانواع الكرم وصنوف الاحترام. والغنمنا لذيذ
مصاحبته مدة الاقامه. فجزاه الله خيرا وشكر انعامه. وكان
الشيخ المشار اليه كثير التردد الى خدمة قاضي القضاة مولانا
ويكثر من مصاحبته والتحدث معه احيانا وكانت تشجع دائرة
الكلام في حضرته العليه فينجر الكلام الى المصاحبة العلية وكان
مولانا الشيخ المشار اليه اذا سئل اوجاب يبدي العجب العجاب
واذا تكلم بالارتجال من بعض الفنون يوردها على وجه التقرير
ويلقيها الفاء، معتقدا ان المخاطب خالي البال عنها بقلب سليم
وكان في دار ونحن في دار وشتان بين مريد ومراد. وكان
اذا انشد بيتا من الشعر يخلو اوتاده ويورده كيفما اتفق حسبما
اقتضاه طبعه واراده وما كان مولانا الاقندي يجمل ذلك منه
الا على صفاء المزاج ويحصل لنا من ذلك غاية الحظ والابتهاج
فانفق في خضون بعض الصاحبات وخلال جمل من المخاطبات ان
مولانا الاقندي اسبغ الله تعالى نعمه عليه تلطف بحسن التفات
من مقام التكلم الى خطاب هذا العبد واراه ان مولانا الشيخ
كانه حلف يمينا ان لا ينشد شعرا موزونا ولا يتكلم كلاما الا
ملحونا. ثم استشعر منه ان لمح اطراف الكلام فاجفل منه احجام.

المرباب ونقلنا الخطاب من باب الى باب وكنا نقضي عالب الليالي مع مولانا
الشيخ ومصاحبته ونحصل على كمال الانشراح من صفاء مزاجه وحسن
مداعبته وكان مولانا المفتي عامله الله تعالى بلطفه السماوي عرض
عليه في بعض الليالي ماحرره على اماكن من تفسير البيضاوي في كل
درسه العام الذي كان افراده في دمشق الشام وحضر فيه علماؤها
الفخام لينظر تحريره وضبطه ويطلع على ما اودعه فيه من النكات
البديعيه وكان المشار اليه يترقب ان ينتقل من قصور كلامه
الى الصدق ورفعة مقامه فيبدي ما يقتضيه الحال من الثناء اللائق
بمثله ويمدحه بمدح هو من اهله ونعت فضائله الجام بنعوت
تليق بالمقام فلم يمدحه بما ناسبه من جلالة القدر وعلو الشان
بل كان ما اعرب عنه من افعال المدح من باب كان حيث لم يزد على
ان قال له والله ماكان في ظن الفقير انكم تخرجون مثل هذا التحرير
وما هذا الكلام صحيح وما ذلك منك يا مفتي الانام مليح ثم
تحول الكلام من مقام الى مقام فجرى في المجلس ذكر شخص ينتسب
الى العلم في دمشق الشام فبالغ مولانا الشيخ في الثناء عليه واسند
اليه من الفضل ما يكثر على امثاله اسناده اليه فقلنا له والله
يا مولانا لقد استسمنت ذا ورم ونفخت في غير ضرم فعند ذلك
انشدنا قصيدة قال ان المذكور بهذه القصيدة امتدحه
فالفينا ها من بدائعه رائده مفصحة فقلنا له والله يا مولانا
لقد هلهل المذكور هلا فوق ما يطيق وان كنتم بنيتم فضله على هذه
القصيدة فهو بناء على خراف التحقق فنبينا باليراعة وما

نصعت وبالبراعة وما صنعت انا فقط لم نفهد المذكور بدعي شعرا
ولا يذكر ولا نفرقه الا من يجدن من فيه ولا يشعر فاضيعة الادب
فمن اين هذا الوخاء والنشب واني لمس يا مولانا ان سرقة هذه
القصيدة ظاهرة كالشمس في الشهرة والانارة ومن هذه القصيده
لا تسرق الا ان سرقة المنارة وليت شعري اين هذا من قول الشاعر

• وانما الشعر لب المرء يعرضه • على المجالس ان كيسا وان حمقا •
• وان اصدق بيت انت قائله • بيت يقال اذا انشدته صدقا •

على ان القرائن متوفره على سرقتها منها بدءتها وفصاحة ابياتها
ومنها ان المذكور لم يعهد له قصيده غيرها حتى تشفع باخواتها
وقد قضينا يا مولانا العجب من له هذه القصيده الواحده كيف لم
يتفق له في عمره الا نظم هذه القصيده الواحده وقد ذكرنا هذه
القضية قضية جرت بين ابن ابي حفصه وعلي ابن الجهم وهي
قضية مشهوره وعند ارباب الادب غير مستوره وقول ابي حفص

• لعمرك ان الجهم ما كان شاعرا • وهذا على انه يدعي الشعرا •
• ولكنه ابى فدكان جاز لاسمه • فلا اولى في الشعر منه ولا امرا •

هذا ثم ان مولانا الشيخ عرض ما عنده من الاسفار على مولانا
المفتي رفع الله تعالى له المقدار فاختار من بينها كتاب الاتقان
وطلبه ليطالعه برهة من الزمان فوقع عنده الموقع واعجبه
واسر في نفسه ان يستوهبه فعرض ذلك لمولانا الشيخ في بعض المجالس
فلم يجبه حينئذ كان ذلك خلاف المعهود عنه من الكرم ثم
ان مولانا المشار اليه شغف بهذا الكتاب وقال لا سبيل

الى عوده بسبب من الاسباب بحكم احب شئ الى الانسان ما سنحا
وقال لى غاية القصد ان تسلى خاطره عنه بوجه جميل وتكون
بباب هبة نعم الكفيل فرتبت لذلك المقدمات حسبما استطاعه
فسمح خاطره الشريفه بوهبه هبة لا يملك بعد استرجاعه فشكر
على هذا الاحسان وعده لى من جملة الامتنان ثم ان الفقير اعرض
لمولانا المفتى بعد ايام مكاتبة ولمح فى اثنائها الى هذه القضية
بادنى مناسبة حيث قال له فى معرض عرض المحبة ووصف المودة
والاخاء والصحبة وبالجمله فالعبد لم يحتج فى اثبات عبوديته
ومحبته الى حجة وبرهان كيف لا وهى مبنية على اتقان واى
اتقان ثم لما كان سابع شهر رمضان المذكور قصد حضرة مولانا
قاضى القضاة بلغه الله تعالى فى الدارين ما يتمناه ما هو بصدده
من التفتيش على الكنيسة المذكورة وما احدث فيها طائفة
الكفار من الاوضاع المذكورة فتوجه هو ومولانا المفتى اليه
اسبغ الله تعالى نعمه عليه وحضر العلماء ومشايخ الاسلام
وجموع كثير من الخاص والعام وكشفوا على الكنيسة المذكورة فاذا
بقربها مسجد قديم هدم الكفار حيطانه وحولوا وضعه القديم
الى وضع اخر جددوا بنيانه فعند ذلك امر سيدنا قاضى القضاة
بهدم ما جددوه الكفار من البنيان واعاده المسجد القديم
الى ما كان عليه فهدمه المسلمون فى الوقت واساعه
وعاقب طائفة الكفار بانواع الخزى والنكال جزاء هذه
الشنعة وقابلهم فاتلهم الله باشد المقابلة وعزرهم بانواع

التعزير واعلن المسلمون عند ذلك بالتهليل والتكبير وضربت
الذلة على الكفار وقولوا صاغرين واقيمت فيه فى الحال الصلوات
وشعائر الدين وكان دخل وقت العصر فنور مولانا المحراب
وصلى بالناس اماما واقتدى به المسلمون وذكروا الله تعالى
قياما وصار ذلك يوما مشهودا وسرورا شهيرا وكان يوما على
الكافرين عسيرا ثم لما انهمنا زيارة تلك الاماكن الشريفه ورفضنا
ايدى الضراعة والابتهال فى تلك المواقف المنيفه توجهنا لزيارة
سيدنا موسى عليه الصلوة والسلام وضمنا ذلك بزيارة من
من تشرفت به تلك البقاع من ارسل الكرام فعند ما قضينا الزيا
رات
وتمت وحصل ان شاء الله تعالى ثوابها وبركاتها بالخير عمت
حمدنا الله تعالى على هذه النعمة الشاملة وتمت سدة الاوقاته
عشره كاملة وصلينا جمعة بالحجرة الشريفة وجمعة بالاقصى
وشاهدنا من الانس والبركة ما لا يحصى وانشدنا

شكرا لمن بالجود سر قلوبنا فى منزل الاسراء خف طوله
يولى فطوف نواله ابدى لنا فى المسجد الاقصى المبارك حوله

ثم فى اليوم الثالث عشر من شهر رمضان عزم مولانا المفتى حفظه الله
تعالى ذاته العلية على العود الى رشق المحبة فركبنا فى خدمة
قاضى القضاة لتوديعه والعتب من فراقه على شفا نار مشعول
بتغطيه وصدينا الاكف لوداعه ولوعة البين نالت منا
منديا وذكرنا عند ذلك قول القائل من لم يمت يوم
بين لم يمت ابدا ثم انه اوصى الحقير ان لا يقطع مكاتبته عن جنابه

السعيد واكد ذلك بانواع التاكيد ووعد ان يكتب له جوابا
عن كل مراسله ويكون ذلك على سبيل الجبر والمقابله فقلت والله يا
مولانا ان هذا العجب لعجوم في رسائل اخوان الصفا فقال اذا المؤمن
اذا وعد وفى ثم انشدنا بيتا هنالك ما ينسب الى الامام الغزالي
في معنى ذلك

يا من يريد الرحيل عنا ۰ كان الله لك في ارتحالك
كان الله لك خير واق ۰ امنك الله في المسالك

ثم عزم مولانا المفتي على السير وسالنا الله تعالى حسن الاجتماع
وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وقضينا ساعة لم يتفق مثلها
في الاسفار وقطعنا الطريق معه بالمواصله بعد ضيق الاسفار
وحصل من حسن مرافقته ولطف مفاكهته على الحظ الوافر واجتنيا
من زهرات مصاحبته ما يغني عن الربيع الزاهر وفي اليوم الرابع عشر
من شهر رمضان عزمنا على التوجه لقصد زياره خليل الرحمن فوافينا
دخوله اخر ذلك النهار وشاهدنا ما تحير فيه العقول من باهر ذلك
الانوار واتينا الى زياره ذلك المقام الشريف بقلب سليم وتلونا
دعائه ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وزرنا ما جاوره
الشريف من اولاده الانبياء الكرام وجميع آله عليهم الصلاة والسلام
واقمنا في جواره يومين وفي صبيحة الثالث عزمنا الى نحو غزه قا
صدين وتلونا قوله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله
يحب المتوكلين وودعنا من كان جاء في خدمة مولانا رفع الله
تعالى مناره وصحب من علماء القدس الشريف للزيارة وخرجنا في يوم

مطر وفتحت فيه ابواب السماء بماء منهمر ثم وافينا غزه المحميه في ثامن
عشر شهر الصوم واقمنا بها يوما بعد يوم وتشرفنا بملاقات عالمها فخر
العلماء المدققين شمس الملة والدنيا والدين وكنا في غاية الشوق
الى مشاهدة ذاته والتشوف الى الاجتماع به وملاقاته فدعانا
الى منزله ثاني ليلة الوصول ومد لنا الموائد واغتنمنا تلك
الليلة مصاحبته العليه وحصل منها على كثير من الفوائد وذكر لنا
ان معرفة الفضائل صارت منكوره وعفت معالمها من البلده المذكوره
وشكا لنا كثيرا من عدم فاضل في البلدة يباحثه ويناظره بل طالب
يحادثه في العلم ويذاكره

ما في البلاد اخو وجد نطارحه ۰ حديث نجد ولا خل نجاريه ۰

وتالم ايضا من عدم معرفة اهلها بقيمة اهل العلم والعلما وما يقاسيه بسبب
ذلك من الشده وانشدنا كفى حزنا اني مقيم ببلده ... فقلنا
له يا مولانا حيث كان الامر كذلك فما الداعي لتحمل موجبات السآمه
وانشدنا قول الطغرائي فيم الاقامه وتلونا عليه اية المهاجره
وما فيها من وجدان المراغم والسعه وموجبات الجور والدعه
وقلنا عجبا للقلب المصاحب للهموم كيف يبدي الفضائل والعلوم
فان الشمس لا تبدو اذ يجول غيم ولا ... والفكر على ضيم وبالجمله

اذا كنت في ارض يسوءك حالها ۰ ولم تك محبوسا بها فتغرب ۰
فان رسول الله لم يستقر له ۰ بمكة حال واستقام بيثرب ۰

فذكرنا حديث حب الوطن وتنغص الصعداء وانشدني شده
الكمد والحزن ۰ ۰ ۰ ۰ ۰

• بلاد الفنا ها على كل حالة • وقد يولف الشئ الذى ليس بالحسن
• ونستعذب الارض التى نهواها • ولو ماؤها عذب ولكنها وطن
ثم اتسعت معه دائرة المخاطبة واستطرد القول بطريق المناسبة الى ذكر رحلته الى بلدتنا حماة المحبة المحروسة ونقول لنا يوصف ما فيها من تلك الاوطان المانوسة فحرك ما عندنا من الشوق والاشواق الى تلك المعاهد والاماكن فعند ذلك ناوه هذا الصب عند ذكر الحمى وتذكر قول ابن خطيب داريا

• تذكر بالاوطان عيشا تصرما فقاضت على خديه ادمعه رما •
• وحن الى احبابه فتضاءلت • له رفران لوسن من جهنما •

كيف لا وهو كما قيل

• بلاد بها نيطت على تمائمى • واول ارض مس جلدى ترابها •

ثم سالنى عمن يعرفه فيها من افاضل الاصحاب فكان سائل رفع فتلى الجواب وانشدت

• اذا هبت الارواح من نحو جانب به اهل مى هاج قلبى هبوبها •
• هوى تذرف العينان منه وانما هوى كل نفس اى حل حبيبها •

وقال والله يا مولانا ان رونقها فى الحقيقة يشرح الصدور ويبهج النفوس ويعجز عن حصر محاسنها سطور الطروس ولكن لله در ذلك حبيب وفيت حب الوطن حقه وادته واجبه ومستحقه ولو لم يشهد العيون بحبنا للاوطان شاهد ولا نعلم من قيد والقرار يحرك تجرى الدموع عند ذكر الربوع كالماء المطلق ولا سيما هذا باضيع من عينيك الدمع كلما تذكرت ربعا او توهمت منزلا فقلت لى يا مولاى

كيف لا وكون كذلك وهو

• بلد صحبت بها الشبيبة والصبا • ولبست ثوب الغز وهو جديد •
• فارتمى فى الصدر وجدته • وعلى اغصانه الشباب تميد •

ثم حدثنا الشيخ المشار اليه بكثير من حسن المحاضرة ولطيف المحاورة التى كانت تقدر بينه وبين فاضلها المرحوم سيدى الشيخ محمد ابن ولى الله المرحوم الشيخ علوان وكان ينجب من فصاحته وبلاغته التى حارت فيها العقول والاذهان ويمدح فضائل وفواضل الفرار ويذكر صفا العيش الذى قضاه صحبة فى تلك الديار ويشكر ما اهداه اليه من الفضل والانعام وينشد فى ذلك المقام

• نزلت على آل المهلب شاتيا • غريبا عن الاوطان فى زمن المحل •

• فما زال بى احسانهم وانفاقهم • وبرهم حتى حسبتهم اهلى •

فمن اجل ذلك طاب لى فيها المقيل واويت بها الى ظل ظليل وقضيا احاديث ما شاهده من لطفها وصفاها وحنانها •

• رأيت بها ما ملأ العين قرة • وسلى عن الاوطان كل غريب •

ورشفنا الفا وصدانها وبساتينها ومنتزهاتها وما يطرب من تغريد طيورها فى السحر على اعالى الشجر بفصيح لغاتها فعند ذلك انشدته

• لك ان تشوقنى الى الاوطان • وعلى ان ابكى بدمع قانى •

ثم اوردنا سببا مما تقول به فى محاسنها اهل الادب وما اجاب من التشبيب فيها باعين العصب الى ان انتهينا الى قول القائل

ما بين صرح وسرح منظر عجب ، تنأى هويدك عنه وهو مضرب
عاص تنم به الطاعات حيثما وقفا ، يكاد من رقة باللحظ ينسرب
انسب الى وكم قد انتسبت رجلا ، قبلي اذا كان للذات يغترب
من جر اطيه في اسجارها سحرا ، والماء حيث اجال الطرف ينسكب
يسلي الغريب عن الاوطان رؤيته ، في لذة بلذاها اللهو والطرب
وافانا رجب طيب الغمار بها ، محبب احبذا شهر التقى رجب
فيا هناه هنأك الله فرت بما ، اعيادشق ولا تخفى به حدب
فالحمد لله حمدا لا انتهاء له ، في كل وقت وهذا بعض ما يجب

ثم سألني عن لطفها ولطف الاماكن التي يقيدها فيها في الزمن الاول كقصر ابن هجة ومعاهده التي يمتدح بها في اشعاره ويتغزل فانتدته وهل عندكم دارس من معول وقلت له يا مولانا ان تلك المنازل والاوطان تعوضت لها ايدي الحدثان وادخلتها في خبر كان وغيرت منزها ما تعهد ونه من ذلك الوضع وكاد لن الحال ينسد عند اطلالها فدينك من رسم تمر ان المدار اليه اطنب في مدح هذه البلدة الغناء وترنم بلطائف الاوصاف وتفننا وانتقلنا الى مدح دمشق الشام واتسعت دائرة لطيف مدحها حيث اقتضاه المقام فقلت له يا مولانا

رفقا اذبت حشاشة المشتاق ، واسلتها معاقد الاماق
فالله عليك الا ما خفضت على هذا المقام وسلبت هذا المروع عنها بالنوى والتميم فان عند هذا الصب حنينا الى الاوطان ليس بزول ويكفي في هذا المقام ناهيا قول من يقول

ولا

ولا تذكرني الواديين ولا ترى لعيني اطلال الربوع فتدمعا
فلولاك ما حن المشوق الى الحمى ، ولا شام برق الثام من سجع لمعا

فلما شاهدنا شدة شوق هذا الصب الى احبابه وان جلده قد وهى قال رتجاله

واقاله ذكر الحمى فاؤدها ، ودعا به داعي الصبا فتولها

وانشدنا عند ذلك

سلام على تلك المعاهد انها ، سريعة ورد اوهي بشمال
ليالي لم نحذر رقيبا فطيبة ، ولم نخش الا في سرور وصال
فقد صدقت ارضي من سوالم ارضها ، بخلب برق اوطرو فخيال

وحصل لنا تلك الليلة من مسامرة ذلك الفاضل ما سرنا وابهجنا وتوجهنا في الصبيحة الى المنزل لننظر اقاطن قوم سلمى ام ثووا فلما نظرنا فالفينا هم عزموا على المسير من البلدة المذكورة فتوجهنا لوداع مولانا الشيخ والتمسنا دعواته المأثورة فدعا لنا متضرعا بادعية صادرة عن صحيح الفواد وتلى مستنجزا ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ثم لما كان بتاريخ العشرين من شهر رمضان وصلنا الى المنزل المعروف بقطيه من بلبيس الشرقية فاستقبلنا قاضيها وصحبة قضاه من قضاة الديار المصرية وهو مولانا فخر القضاة والمدققين عمدة الافاضل والمحققين القاضي تقي الدين ابن المرحوم من بالفضائل والكمالات موصوف عمدة القضاة القاضي معروف فحصل لنا غاية السرور بملاقاته وكنا بفرط الاشواق الى مشاهدة ذاته وكان مولانا قاضي

القضاة عامله الله تعالى بالطاف الخفيه لما جاءه الخبر بتوليه القاهرة المحميه ارسل لحضرة الباشا بمصر يستخلف الملك اليه مكانه ليميزه بالفضائل التي فاق بها اقرانه فاله عن بعض ما وقع في البين من الاحوال واستخبره عنها بالتفصيل والاجمال فاداه اليه بعض الامور بطريق العرض وعرفه ببعضها واعرض عن بعض وبتنا بذلك المنزل ليلة واحده وعدنا الى مصر اشواق متزايده ثم في ثاني يوم قوضنا الخيام ورحلنا عن ذلك المقام فاتينا محمية الخانقاه في خامس عشري رمضان وخرج لاستقبال مولانا قاضيها فخر القضاة شهاب الملة والدين احمد بن سعبان ونواب المستقبلون في ذلك اليوم افواجا وتواردوا للقاء مولانا واديا وازواجا فلما كان نهار الاربعة سادس عشري شهر رمضان اشرفنا على المحمية القاهره ولاحت لنا قصورها العاليه الفاخره وخرج لاستقبال مولانا ادام الله تعالى مدده وطوله جميع القضاه والنقبا وارباب الدوله ودخل في ابهة عظيمه ومهابة حسيمه وكان الله تعالى القى محبة مولانا في قلوب جميع الخليقه فاستبشروا بمعدلته التي ساربها في دمشق على احسن طريقه

• وجه عليه من الياسكينة ومحبة تجري من الانفاس •
• واذا احب الله يوما عبده القى عليه محبة للناس •

وخرج جميع اهل البلد لاستقباله ووافينا دخولها ذلك النهار ضحى فدخلنا القاهره حين مستبشرين وتلونا قوله تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ثم لما كان السبب الاعظم في هذه

الرحله

مشاهدة من ذاته اضحت للعارف قبله علامة الزمان وواحد الدهر والاوان الاعلم الافضل الافخر والحبر الذي من خصائصه ان تصغى الفصحاء اذا تكلم والفصيح الذي اذا تكلم قال لريزك مقالا لقائل والبليغ الذي اذا اتى انسا سحبان وائل لو ارى الفصح الورى لتخيرها وقصرت عن معانيه معانيها

• ولو جرى عند اهل السبق في طلق من البراعة جل عن مجاريها •
• وما حكته في الناس شاعات تجاوصدى القلب او تحويشيها •

اعني به سيدنا ومولانا شمس الملة والدنيا والدين الاستاذ المعظم والعارف الافخم سيدي محمد البكري لازال بيت البلاغة بدعائم بدائعه معمورا ولواء الادب على ملوك براعته منشورا فانه العبد منذ اصيفت عنه التمائم ونيطت به العمائم ونشرف بالعلم الشريف وخدمة اهله ائمة الاقتداء كان كالملوح من سناه نجما بارق انسى من جانب طوره هدى واذا افقلت الرواة احاديث علومه المعنعنه المسلسلة وتلت الافاضل ايات فضله المرتله ينشق من تلك الروايات نفحات انسيه وتجد نفس الزمن من جهة يمانيه ولم يزل بانس بتلك الاخبار راونه وازمانه والاذن تعشق قبل العين احيانا حتى كلف بها الفؤاد لكن بنار اوقد فيه جمره وعلق بالقلوب علوق الهوى بمبنى عذره

• الان اهواي بليلى قدعية واقتل اهواء الرجال قديمها •

فعقدنا في آن الدخول الى القاهره التوجه للسلام عليه ومشاهدة انوار طلعته البهاره واذا بجنابه الشريف اطال الله تعالى بقاه

وادام فضله • جاء للسلام على مولانا قاضي القضاة على حين غفلة •
فشاهدنا تلك الذات السامية المقام • ولزم مفاجاته ذلك الوقت
بالسلام • وقلت له يا مولانا ان هذا سلام اتفاقي لقضائي • ويتلوه ان
شاء الله تعالى السلام الحقيقي الذي • وتوجهنا ثاني يوم للسلام عليه
في منزله السعيد لابرحت ربوعه عالية الذرى • فشاهدنا منه
في سما الفضل بدرا سفرا • وشاهدنا من وافر فضله ومزيد لطفه •
ما يعجز اللسان عن بعض وصفه • وكان ابتدا مخاطبته ان قال
ملاطفا • ونطق عاطفا • وهذا السلام الحقيقي تتميما الى قول ابي الطيب
ومن بالعراق • وابدى لنا من معارفه ما يعجز عنه نطاق انطاقه •
وكنا في اثناء تلك الايام نظن ان الناس يطنبون في المسند اليه من المدح •
ويقولون ان كلامه لا يكاد ان يكون من قوة البشر بل من قبيل الوحي
حتى شاهدنا ذلك رأي العين • فوجدناه يعجز عن وصف الكيف
والاين • ورأينا اطنابهم في مدحه في غاية الايجاز • ومطول
وصفهم مختصرا بالنسبة الى ما قامت عليه دلائل الاعجاز • فضللنا
تمثلنا بقول القائل

• لقد كنت في الاخبار اسمع عنكم • حديثا كنشر العلم اذ يتضوع •
• فلما التقينا وجها محاسنا • من اضعاف الذي كنت اسمع •

وبالجملة مجموعي في القاهرة من العلماء اذا ذهب اليه يكون هباء منثورا •
واذا قيس عليه لم يكن شيء مذكورا • وفي الحقيقة فاعلما •
هذه الديار الا كالنجوم وهو الشمس في رابعة النهار • شتان
في كل فن سويا على صراط مستقيم • وتدلان على الكون على وفق

عن

علو نبته • وفوق كل ذي علم عليم • حاز قصبات السبق في علم التفسير •
وفاق الاوائل والاواخر بحسن التحرير فيه والتبحير • لا يرهذك
احد هذا لسلوك طرائقه وغوامض دقائقه • ولا يفوص على شيء منها
يبرزه في تقريره من درر حقائقه •

• اذا عد اهل الفضل يوما فكلهم • على فضله لو ينشرون عيال •
• يرى عنده ما عندهم من فضيلة • وفيه خلال فوقها وخلال •

اجل معانيه البديعة ان يحصرها بياني • او يبسطها بنان قلمي او قلم
بناني •

• وكيف اطيق البحث عن بعض فضله • وقد كل فيه السن الفضلاء •
• او يجزى هين احصى خصاله • فما لي سوى ختم بخير دعائه •

ابقاه الله تعالى اماما اصطفت خلفه صفوف الصفا فاهم يتوافى
بره فلو كان ذلك فرضا سوا بداه • واطنبوا في حمد اوصافه ولم يزد
ان اصبح بها محمداه • وقد حصل بين العبد وبين حضرته السعيدة •
مودة خالصة ومحبة اكيدة • مواسسة على قواعد الاخلاص •
مؤكدة من نوابي الود بمزيد الاختصاص • وقد شرف العبد بجنابه
الشريف ببعض المكاتبات • فقصد الفقير ان يكون لها في هذه الرقعة
اثبات • فمن ذلك ما كتبه لي حفظ الله تعالى جنابه • وكنت وقتها
... مكتوبا يقضي النفاعة يستخفي في النيابة صورته
ان انضر زهر فتحت يد النسيم كمائمه • وازهر ناضر اهب باخلا
من لطائف المنن نمائمه • واورق عود اصدح الشوق على
افنانه حمائمه • وارقى منبر سجع عليه خطيب بلاغة فاستنزل

شبكة الألوكة www.alukah.net

من الافق نعائمه، وافصح منطيق ترن سحبان في ارض البلاغة باقداه
اوذا هدر بطلب نعائمه، حمد الله تعالى الذى جعل محبه مترقيا مصاعد
المجد، وايده بالدين فاصبح له كالاب رافدا في حلل الجد، هذا وان
بسطة القول في بث الشوق يضيق عنها الطوق، ولو استعان ذو البث
بذوات الطوق، وبعد بعد المدى وان كان لابعده، فالجنان بكم
في انفسح من جنان الخلد، ثم ان ممن له في هذا الجناب انتساب
وعرافة في الاتصال بهذا الداعي لذلك الجناب، المائل لديكم
بهذه الصبابة، والناقل لخبرها تلك الصبابة، الولد الارعن
عبد الفتاح، فالمسؤل ان لا يزال مرتبش الجناح، محفوفا بعين
نظركم السعيد، محفوظا بعنايتكم في الطريف والتليد، منشرفا بنجدة
عتبتكم في تنفيذ الاحكام، ماموراً من جنابكم العالي برعايته اوامره
في النقض والابرام، بعد الدعاء ثانيا والسلام على الدوام،
وكان اهالي ذلك الاقليم شكوا من ذلك النائب شكاية كلية، وحقق
العبد ان مولانا الشيخ حفظه الله تعالى حضرة العلية، لم يبلغه ما
صدر عن المذكور من التعدي على اهل الاقليم، ولم يكن له ذلك
الا بناء على طبعه اللئيم، فاحب العبد ان يعرض على المولى ما رآه
احوال المذكور وما انطوى عليه، علما بان حضرته الشريفة حفظها
الله تعالى ووقاها اذا بلغها احوال المذكور نبذها ولم يرضها،
فطرله هذا الجواب، وارسله بضاعة مزجاة لذلك الجناب،
صورته يقبل الارض بعد دعائه الذى ترصعت في بنجان الاجابة
درره، وتضرعت في ديوان الاخلاص فقره، ويضع الجبهة

السالم

السالم، والثنا الذى هو اللوجوب لازم، وينهى ان السبب في تسطيرها
والباعث على تحريرها محبة اضرم نارها في الفؤاد، واشواق لوبحتها
لملات الفؤاد، وان تفضل الموالي بالسؤال عن حال العبد فهو باق
على محبة القلب العقيمة، وملازم على مقام العبودية، وقد وصل
المثال العديم المثال، مشتملا على الدرر التي فاقت اللآلي
فقام له الخلص تعظيما واجلالا، وسجد سجدة صار راى من معانيه
زلالا، وقفى على سنن الثنا معللا بشكره، ولقد سما العبد الحقير الى
السر لما تفوهت الاسود بذكره، هذا والذى ينهيه العبد على خصوص
عبد الفتاح، وما اشتمل عليه من الامور القبيح، فانه كثير في
الاقليم شاكوه، وانعدم فيه شاكروه، وان من البديع المحدث
على هذه البلاد ما ليس بالمستحق، وقد شكى منه اهل الاقليم
وذكروا انه هلهل فيه غاية الهلهلة، واما ما اثبته في السجل
بطريق التزوير، فذلك امر ظاهر شهير، الى غير ذلك من ظلمات
يزياده، وجنايات جاوز فيها الحد وخرق العاده، وقد
ذكر جماعة من الصلحا ليس لهم غرض دنياوى، منهم رجل من
ذرية الشيخ الشعراوى، ان المذكور ان تولى سعى في الارض
بالفساده، وتعدى من ظلم نفسه القاصره الى ظلم العباده، كل ذلك
ماخلا الفقها لانه تمت بالاخبار، لانهم ناقصة عن درجة الاعتبار
في مقام الخطاب، واحوالا مقررة ليست من افعال السداد بل
اليقين لو بحث عنها لخرجت عن طريق الاداب، لكن من طرق
البلاغة استعمال الاضمار في موضع الاظهار، كما نستفيده

وصيغة المضارع للاستمرار من بحر فيضكم المدرار ولو فصلت لحضرتكم
الشريفه امور لاوجبت لمن يطرد ويبعد ويتمثل لقول القائل ونعم ما قيل

• ايها المدعى سليمى سفاها • لست منها ولا قدرك ظفر •
• انما انت من سليمى كواو • الحق في الهجاء ظلما بعمرو •

والى صبل ان المملوك ما يجيل التفرس في عدم استقامة المذكور لا
على سلامة مزاج مولانا وسرعة حدسه وحاشا لمقامه الشريف
ان يرضى لعبده الحر ما هو غير (ابناء) جنسه وعلى كل حال فمن حمل
اعباء القضاء هذا احوال الاتعاب النواصب وعاين اهوال التجارب
الرواسب

• الهى ظلمت النفس منصرفا قاضيا • وخوضها بالضيق عن دلك القضا •
• وحملها الانكار تطبيقه • فما لك التوفيق والطف لى القضا •

ووالله ان العبد ما سطر هذا الجواب الا وهو من الخجل توارى
بالحجاب لاشتماله على هذه الالفاظ السفيهه وقباحة المذكور وافراد
الذميمه ولكن صح كما في علمكم الكريم العبد فيما جرى به وشاع ان
الكلفة ترتفع اذا صحت المحبة على ان لا غرو عن شريف علمكم
ان بسط الكلام يحسن اذا كان الاصغا مطلوبا والخطاب محبوبا
ومرغوبا وما مثلت قضية منكوره بل قصة معروفة مشهورة
بعد تكرير الاوعية على الدوام والسلام الى قيام الساعة
وساعة القيام فلما وصلت الى جنابه الشريف تلقاها بحسن
القبول وارسل جوابا عنها هذه الحرفة التي تكاد من رقة
الفاظها تسحر العقول صورتها . . . . . .

يا نسمة

• يا نسمة البان بل يا نفحة الريح • ان رحت يوما الى من عندهم روحى
• خذي لهم من ثنا عنبر اعبقا • واوقدي بنار من نبا زحلى

شيد الله تعالى معالم الحق التي دثرت ورفع سمك سماء الدين التي
انفطرت واتاح الذكر الجميل الاعذب وافاح الثناء العاطر الاطيب
ببقاء من طن في سمع العاقل حديث فضله المحقق واستمسك الناس
منه بحبل استقامة طال مارث في ذلك الاقليم وتمزق واقبل
على الدين اقبال محب صادق وقال عن الله تعالى وعن رسوله
باعذب لسان ناطق وقال في وارف الثقة بالله واليه بالصدق
انتمى وقلا اهل الباطل وكبن بحر الى وجوههم به رمى الحبيب الذي
اجله القلب فاحله خلال الشراسيف والضلوع بل سواد السويدا
والشغاف وهانيك الربوع لا زال الله تعالى يقذفه على الباطل
فيدمغه ويصدع فؤاد الشيطان ويزل قدمه ويفدغه
ويؤيد به الشريعة على ازهاء المنهل الفراة لكل وارد ويرفض
مناره منازلها على انها رياض المعارف والعوارف والفوائد
في نعمة ترف بنسيم الغاية نضاره ونعيم يفاطر غضاره امين
يحيط علمكم الكريم بعد اشرف تحية واعطر تسليم ان الفقير ورد
عليه مكتوب ولكن بقلد انبوته بالفضائل راعفه وغصن
ولكن مثمر بكل عارفه وطائر ولكن باجنحة الانامل الى فضاء
بلاغة لم يزل لكم منفسحا صادح ولكن اعرب فاغرب
فيا الورق هاتفة بالغضى في طرس هو من بياض نهاره الضياء
ومداد هو سواد ليل الاسرا وكم وجنة ودن نقطة من ذلك

شبكة الألوكة www.alukah.net

السواد، وانثناء، هو سحر العقول ولكن الحلال، وعذوبة الفاظ بولها
الحضر الزلال، ومعان مازلت لمعان بل لمعان نشأت من لمعان ذكر
صقيل، وصبان تذكرنا بناء الخليل لبيت الجليل، ثم ما اشرت اليه
اليه من تلك القضية القضية، فلا والله لولاكتبكم الكريم ما انا بالذي
لا خفيه سرا ولا جليه، ولا ارضى الا بما يرضي الله ورسوله عليه
الصلاة والسلام، والتقدير في فسيح العذر، بل في لحاظ محل طبقات
الشكر، على خلاص الفقير من عهدة الاثام، ثم ان سالت عن
مولانا شيخ مشائخ الاسلام، نعمة الله تعالى التي ارسلها الضيافة
على الخاص والعام، فحال ثابتة المجد منتقلة في معارج السعد
في كل حال كاملة سواها الافضل، ومبتدخبره تناء املاك السما
واقطاب الارض على من افاض الله تعالى عليه فضله، بلغ الله تعالى
بدولته المبتغى والجملة خبره، واقام باحكامه الصفي واطرد
القياس في القضية، عالم ولكنه عالم كما لات، باهرة ورتق
رتبة سماء سموه تخضع لها ابناء الدنيا ويدعو بعزيد تعاليها
ابناء الاخرة، فحين الله تعالى على زمان احياه الله تعالى
بعد زمانه وبداه، وعلامة ان سئل موفوفا قل فوق اربا
افهم فهم جواب نعم وكفاه ان يجيب بلاء وما قدم الفقير
هذه الصبابة الا ليزيدكم علما بما للقلب به من صبابة، وانتم
في امان الله تعالى وحفظه والسلام على الدوام، وما كتبته
لحضرته العلية صحيحة شيء من قلب الفتى اهدى لنا من الديار
المحويه ماصورته . . . . . .

لما

. لما تملك قلبي حبكم فغدا . مجردا منه قلبا رق واستعرا .
. حررته فغدا طوعا لخدمتكم . محررا خادما وافاك معتذرا .
. فعاملوه بخير حيث جاء كذ . مجردا بمزيد الحب منكسرا .

يقبل اليد الشريفه ويلتمس الراحة اللطيفه، وينهي الى الحضرة الديه
عظم الله تعالى شانها، وصانها عمن شانها، انه اهدى اليه من
تلك الديار ما ناسب اهداءه لارباب القلوب، وبلائم ارساله
لاصحاب الغيوب فقدم العبد رجلا واخر اخرى، في ان يهدي
الى جناب الشريف منه قدرا، علما بانه شيء حقير، لا يوازي مقامكم
الخطير، وقد توارى بالحجاب حين وافد وهو صيد، وما مثل
من يهدي مثله الى ذلك الجناب، الا كالبحر يمطره السحاب
ثم انه تراكم باهداء هذا القدر اليسير، فان وقع في حيز القبول
انجبر القلب الكسير، ولا يعزب عن علم مولانا بلغه الله تعالى املا
النمل يعذر في مقدار ما حملا، والسلام في المبدا والختام، ثم رافعت
بعد ذلك بجناب الشريف، فكان من خطابه اللطيف، ان قال القول
اللسان في هدية كل قلب وانشدني بديعا في معنى ذلك بيتا
جمع فيه المحاسن وهو مفرد، واشتمل من اللطف على مزيد وهو مجرد
وهو بحر اقسم اني فتى . صديق حبيم بقلب محب .
ثم صار بجلب الريف اذ ذاك غاصا بافاضل الانام، واعترض في اثناء
الخطاب مع حضرته جمل من الكلام، فقال معتذرا ان هذا من تظلم
الوقت، وان لم يكن هذا وقت النظم، هذا ثم ان العبد كان
في تلك الفضون كتب لمولانا قدوة الاهالي والمدققين وضد

شبكة الألوكة www.alukah.net

الافاضل المتبحر بن الشيخ سماعيل ابن الشيخ يوسف ابن الشيخ اسبغ الله تعالى عليه
سوابغ الانعام ، مكتوب بالفضل نوخا من ذم مصر ومدح دمشق الشام
فيه ما عبارته وان سال مولانا ادام الله تعالى ايامه الزاهره عن
احوال المحي القاهره ، فقد وجد الفقير ما كانوا يصفونه من محاسنها
انما هو من طريق المبالغة ، بل من قبيل القول الكاذب ، او من قبيل ولدان
فيما يشفون مذاهب ، بعد من منزلها بالمكان المسمى بولاق ،
ولكن لطول الفصل بينه وبين مصر يسر في كل آن اليه الذهاب
والانطلاق ، وربما يكون طريقه مخوفا فيحجم الانسان عن السير
ويحصل له الامتناع ، وبتحقق قضية مررت على وادي السباع ،
على ان المكان المذكور وان اشتمل على الماء الا انه عديم الخضرة
وليس به انيس مكتس ملابس النضره ، ومع ذلك لا يوجد فيه
غير السمك لكن برى الفلك فيه سواخر ، واذا افتخر به مفتخر نقول
له اذا ما غيمي انك يفاخر ، فقل لمن يقايس منزلها زيدوسق هذا
قياس باطل ، واني بالحق الناقص بالكامل ، واما حضرة الاوفذي
حفظا الله ظلمته العليه فانه مغرم بمدح دمشق المحميه ، وانما يتذكر
ما مضى له فيها من الحضور في تلك الايام الخاليه ، ويتاسف على ما
مر له من حلاوة العيش في هاتيك الاوقات الماضيه ، وينشد

- لله ايام تقضت لنا ، ما كان احلاها واهناها
- مرت فلم يبق لنا بعدها ، شئ سوى ان نتمناها

والفقير كثيرا ما يحن دمشق على مصر فيوافقني على هذا الكلام
ويقول للمخالف . . . . . .

فكيف

، فكيف اذا مررت بدار قوم ، وجيران لنا كانوا كرام
واما هذا العبد فظالما تحركها الى جهتها سواكن الاشواق ، وتكاد
تجذبه اذا تقاعس بالاطواق ، لا يصغي الى تقنيد في حبها ولا لوم
واذا مزج دمعه بدم يقال تذكر عرضا ثابت ، وبالجمله فان شطت
بنا الدار وكان بيننا وبينها كما حكم البين المشتت فراسخ ، ولكن
واما الذي في القلب منها فراسخ ، اذا تذكر تلك المعاهد يفيض
دمعه من العيون ، وان ذهب عنها كل مذهب ففي قلبه من قاسيون
نار شوق الى الاحبة تلك الاماكن لا يملك القلب دفاعه ، ولو لم
تكن الا مرجح ساعة ، وعلى كل حال فان اتهم القلب او انجد وهما
كان من الارض قربا وابعد ، فلست عن حبكم ابدا سالياه وان
ملت الى جهة الجنوب بنا زعني الهوى عن شمالياه فلا تلم
محبكم من قبيل المحال ، كيف لا والقلب من جهة الشمال ، فسال
الله تعالى ان يقرب ايام التلاق ، بطي شقة البين والفراق ،
لنكون تحت نظركم السعيد ، وظلكم المديد ، لا برح في الاقطار
نحياه ، وقد تجمع الله الشيئين بعدما ، والسلام الى ساحة القيم
فاتفق ان مولانا الشيخ المشار اليه وقف على ما تضمنه المكتوب
واشتمل عليه ، وحصل له مع حضرته حالة مباسطة في الكلام
وذكر ناطرفا مما قاله ظرفاء الشام في مدح مصر والشام ، وبعد
ذلك بتنا عنده ليلة في بيته الذي على بركة القرخ وكانت
ليلة مقمره ، وبوجوده الشريف مزهره ، واخذنا هامن
بين الليالي بايدي الغرض فقص علينا من نفائس اسماره

شبكة الألوكة www.alukah.net

البليغة احسن القصص، وجلا عندنا من نفائس ابكار معارفه عرائس افكار رحيق الشعراء ونثر علينا من لآلئ معانيه البديعة درراً. ثم قال للعبد في اثناء المصاحبة وهل يوجد في دمشق مثل هذا المكان. فقلت وقد عرفت مراده لا والله يا مولانا من حيث تشريفه بطلعتكم الرفيعة انتج وقلت مخاطباً لحضرته الشريفة رفع الله تعالى محلها. وتستعذب الارض التي انت حلها. فقال مع قطع النظر عن الحيثيات والاغيار فانشدته وما هب الديار. ثم انه اورد شيأ يتضمن مدح مصر بالمناسبة وقصد المداعبة والمصاحبة. فاجرى الكلام الى ابن سنا الملك وجلالة قدره. واورد في المجلس شيأ من شعره. فقال مولانا الشيخ حفظ الله تعالى تلك المعاني وما احسن قوله كذا وذكر شعراً يتضمن نوعاً من ذم دمشق المحبة فقلت له يا مولانا لو كان شعراً واحداً لاتفيته. ولكنه شعر وثان وثالثه ثم ضحك كثيراً والتفت للشيخ نور الدين العسيلي وقال له يا مولانا وفاضل عصرنا. ان الشيخ محب الدين من اكابر المتعصبين على مصرنا. ولو رايته المكتوب الذي كتبه سابقاً الى دمشق يتشوق الى اخوانه ويتشوف الى اوطانه. ومدحة لدمشق المدح الوافر. وتفضيلها على المحبة القاهرة. لرايتم العجب العجاب. الى غير ذلك من الملاطفة في الخطاب والتقاط تلك الليلة من فوائده الشريفة ما يفوق الدرر. وسألونا عن حسن محاضرته لطائف ارق من نسيم السحر. وقضيناها ليلة كما يسبق اخرها اولها. واولها اخرها. ولم يكن عيبها الوحيد الا قصرها ثم ارتحل المورة المحروسة بيننا تاركة بحيث صار الفؤاد مشغوفاً بمحبته. وكان العبد دائماً يعطر مجالس قاضي القضاة بمدحته. فاتفق انه جاء مولانا

فاضي

قاضي القضاة تشريفه فابدى من نكته ولطائف العجب العجاب واملى من فوائده وفرائده حاير العقول والالباب. فعرض عليه مولانا قاضي القضاة محبة هذا العبد الفقير. وقال له هذا الشيخ محب الدين ما هو الا عبد جنابكم الخطير. فوالله لقد وقع هذا الكلام عند العبد الطف موقع. وصار من قبله احسن موضع. وانشدت عند ذلك

مذ صح عندي انني عبد لكم ... صفر الوجود وبعته في الملتقى

ولقد انفت على الوجود وتعززا ... لما انتسبت لكم وصحت نسبتي

ثم تشرفت بعد ذلك المجلس بمشاهدة ذاته المحمية. وعرضت عليه قصة المحبة والصبورية. وقلت له يا مولانا ان صبورية هذا المخلص لكم مبينة. لا تحتاج في اثباتها الى بينة. كيف لا وقد حكم بموجبها قاضي المحبة. وشهد فيكم بذلك مرة في اثناء الصحبة. ولله دره قاضياً احسن في اداء هذه الشهادة الحسنة الحب. فاني والله لم ازل اثني على مقاصده الحسنة المستجاده. واشكره ولا اكتفي على هذه الشهاده. هذا ولو ذكرنا بعض فضائل مولانا ومحاسنه لعجز عن حصرها القلم وكلت لسانه. وضاق صدر الطرس وان كان متسع ميدانه. وليس يزيد المرء قدراً ورفعة ... اطالة وصاف واكثار مادح

هذا وقد تعين ان نذكر حينئذ شيأ من تراجم المشهورين من علماء الديار المصرية بطريق الايجاز والاختصار. واما تجشم بالاطناب فذلك شيء لا يحتويه الاسفار. فاما الامام العالم العلامة. والحبر الفهامة شمس الملة والدين الشيخ محمد الرملي الشافعي فسح الله تعالى في اجله. ونفع المسلمين بعلمه وعمله. فانه هذب المذهب وحرره

ونكاد نغالب مسائل الفقه في حفظه مصوره انتهت اليه معرفة الفقه في هذه الديار، واشتهر بذلك غاية الاشتهار، بحيث لو تخلف في ذلك اثنان ولا يحتاج فيه الى اثبات حجة واقامة برهان، وانه بلغ فيه الى الدرجة القصوى، وصار المعول عليه هذا العصر في الفتوى، وصل في ذلك الى اسنى محل وارفع مقام، حتى يقال عند ما يتكلم اذا قالت حذام، واما حافظ الوقت وحيد دهره، ومحدث عصره ما لرحلة الامام والقدوة الهمام الشيخ نجم الدين الغيطي فانه محدث هذه الديار على الاطلاق، جامع للكمالات الجمة ومحاسن الاخلاق، حاز انواع الفضائل والعلوم، وجمع بين النثر والمنظوم، اذا تكلم في الحديث بلفظه الجاري، اقر كل بحر بانه البخاري، اجمعت على صدارته في علم الحديث علماء البلاد، واتفقت على ترجيحه بعلو الاسناد، واما الفاضل العلامة والمدقق الفهامة الشيخ ابو النصر الطبلاوي المدقق الكامل فانه مشتمل على انواع من الفضائل فاق بعدة فنون على اقرانه، مع تميزه بذلك على ابناء زمانه، اقر له الفضلاء بالاعتراف، واتفقت على انه فاضل وقته بلا خلاف، واما جمال الملة والدين الشيخ يوسف ان ممن ذو التحقيق والفضل ان ممن في العلوم الغريبة، والفنون الدقيقة افضل من في مصر على الحقيقة، مشغول دائما باقراء التفسير والمطول والعضد والرضي والمواقف والمطالع وان كان مشكل او غريب فالية يأتي بالاصابع، واما تواضعه وخفض جناحه فلا يتأتى من صاحب نفس نفيسة، والعجب انه مع اشتماله على هذه الفضائل والكمالات ليس له من الجهات في مصر الا نحو اربعة عثمانية وقد عجبت حيث كان نصيب هذا الفاضل نصيب حمراء، وفي الحقيقة

لا

لا عجب فان من عاده الدهر ان يمشي بمثله القهقرى . . . . .

والاحمق المرزوق المحبوب من ارى، في دهرنا والعاقل المحروم . .

وبالجملة ولو كانت الارزاق تجري على الحجى، اذا اهلكت من جهلة البهائم. ثم ان المذكور قليل التردد الى القضاة ولكن الزمه الصيدمرة بالاجماع بمولانا قاضي القضاة، ادام الله تعالى ايامه وقلة من المتعينين في ايام سعادتكم اكرام مثل هذا الفاضل واحترامه فوعد بان يكرم مثواه ويخلفه منه، فاتفق في تلك الايام انحلال شيء من الجوالي، فانعم عليه بذلك اغتناما لدعائه المتوالي، واما الفاضل المحقق والعلامة المدقق الشيخ زين الدين احمد ابن قاسم المشهور، فانه في انواع الفضائل ما والشيخ يوسف المذكور، وهما في الفضل قرينان، ورضيعا لبان وممارسا فضائل وبيان، بل هما في التساوي والتشابك، والتشاكل والتشارك كما قال البحتري كالفرقدين اذا تامل ناظر، لم يلق موضع فرقد عن فرقد

وقد تفضل مولانا قاضي القضاة احسن الله تعالى اليه، ورتب للفاضل المذكور شيئا من الجوالي ايضا وانعم عليه، واما مولانا المحقق العلامة والامام الكامل المدقق الفهامة الشيخ علي المقدسي الحنفي، عامله الله تعالى بلطفه الخفي، فالمعول في الفتوى الآن عليه في الديار المصرية، والمرجع اليه من بين السادة الحنفية، وهو في الحقيقة جامع للكمالات العلية، وله اطلاع على علوم كثيرة، ونالك لفنون عربية مفيدة، ووقوف على معارف غزيرة، فاق بها على فضلاء هذا الزمان، وتميز بها على اقرانه في هذا الاوان، مع ما جبل عليه من دماثة الاخلاق، وسلامة طبع فاق بها على الاطلاق، واما الشيخ الملقب بالذيب، فكنا لما سمع

باسمه تتصور من مفهومه اغتيال النفوس كتصورك معنى في لبيب
وحسبك ما يقال لكل سمي من اسمه نصيب حتى برز هذا التصور
الى التصديق، ووقع له واقعة يوم دخول قاضي القضاة بالتحقيق
وذلك من عجيب ما اتفق في ذلك النهار، ومن غريب ما حدث فيه
حسبما سبقت به الاقدار، وما ذاك الا ان رجلا من اعمره نحو
تسعين سنة اتى لبطالبه باربعة انصاف كانت له في ذمة فتشاجر
معه قبل ان الشيخ وكزه فقضى عليه من ساعته، وذلك ليلة الغدر في
المدرسة التي هي بالاشرفية مشهوره، وسئل عن خصوصية المكان
فقيل ان الشيخ مع كونه مدرس الشيخونية بحمص عثمانيا بواب
هذه المدرسة المذكوره، وكان ذلك امرا كان قضى الناس منه العجب
وحصل على المذكور غاية الانكار بهذا السبب، واما مولانا العلامه
والعمدة الفهامه المتصف بالفضائل والفواضل في جميع المسالك
الحائز لرقي الاداب فهو للفتوة متمم وللفتاوى مالك، بدر الملة
والدنيا والدين القاضي بدر الدين القرافي المالكي فانه اتقن
مذهبه غاية الاتقان، واحتوى على انواع الفضائل وبنى هو كان
وله جامعية حسنه، وحسن انشا واشعار مستحسنه دائما يواصلنا
بمكاتباته ولا يقطع عنا حيث كنا ترسلاته، وكان عرض له بدرق
في مدرسة السلطان حسن الفقيه المالكية، وارسلنا العوض مع
سندوبنا الذكي وجهناه في مصالح الى ابواب العلية فاتانا
مكتوب يتضمن انه تم للمذكور راتبه الترقي المذكور، فكتبنا اليه
نعلمه بما تضمنه المكتوب المسطور صورته، اسعد الله طلعة البدر
قاضي

قاضي الفضل والفنون الشهيره بصنوف من السعادات والمجد والبهجة
الغزيره
جانا من دار العدالة مكتوب، وانبا عن واقعات كثيره
فيه ان المراد وهو الترقي، لكم تم خمسة سطوره
لابرحت في رفعة وترقي، وكمال وطلعة مستنيره

دمت للفضل والفواضل كنزا، وهما ما حوى من العلم خبره
من حديث كذاك تفسير اي، آية الله للانام شهيره
وفروع كذاك احسن بيان، وكلام تراه حقا اسيره
وفريض لفوق واربعيا، والية الاداب اضحت شهره
قد اتانا المدح يبدي سرورا، استوى فيه ظاهر وسريره
صحب المجد والبت رفضوه، بالهامة باحسن سيره
هكذا الفضل من امام كحب، قد رعى عبده فكان بشيره
اسال الله ذو الجلال ارتقاء، لمقام به الاماني الانيره
ليرى بارع نفاذ قضاء، ويرى الخصم حكمه بالبصيره
وصلاة لافضل الخلق جمعا، مظهر الحق جهرة و بصيره

واما شاعر مصر في هذا الاوان من فاق براعة شعره بلغاء
الزمان الفاضل الاديب، والبليغ الاريب، الشيخ محمد الفارضي
فهو مع فصاحة شعره، وبلاغة نظمه ونثره، حاز قصب السبق
بالاديبه، وتميز على اهل العصر بنكته الاربيه، كتب وانا قاضي
بغوه مكاتبة لطيفة، مختصره مستوفى عليها ان شاء الله تعالى

في محل اسطوره سأله يوما بعض طلبته العلم ان ينظم له ترتيب
التوابع فنظمها في بيت جامع وهو
٥ اذا اجتمعت فالنعت قدم به اعتلق ٥ بيان وتوكيد وجا بدلا نسق ٥
٥ اذا اجتمعت يوما لديك توابع ٥ ورمت لها الترتيب في ذكر اتسق
٥ فنعت بيان ثم توكيد بعده ٥٥ اتى بدل ثم اختم الكل بالنسق
واما الرئس الفاضل والمحقق الكامل الشيخ سري الدين بن الصائغ
والشهاب الذي هو في سماء الفضل بازغ فقد انتهت اليه
الطبية في الديار المصرية ومع ذلك فكم له من انشاء رقة ورواق
وبراعة تميز بها على البلغاء وفاق وكان حصل للفقير دمن توكله
منه المزاج واحتاج في بنائه على الفتح الى نوع علاج فارسلت الى
ذلك الفاضل الهمام وكتبت اليه بعد فواتح السلام ايها الرئس
البارع والبدر الذي في افق البلاغة طالع ذا الحكمة التي اعيا
بها جالينوس والجذاقة التي حارفيها بقراط وبطليموس اشكو
اليك دملا ابطا فجره والم ضره واضر عامله لرعلى سريطة
التفجير وحصل منه الم كثير فتفضلوا بما يبرز ما اكن فيه على عجل
ويمارك عاجلا لنزع ما فيه من العلل بحيث يصير هذا الضرر بنيا
على الفتح لتنطق الالسنة بالدعا وتوبي عن افضال المدح والثنا
على الدوام فارسل سريعا ايلا تم ذلك وكتب عن ذلك جوابا صورته
هل لك ايها الممزج بالروح امتزاج الماء بالراح المهدي الى
الخواطر النزه والى النفوس الارتياح الداعي برسالته المعجزة

الالفاظ

الالفاظ الى جنة ناضره الحبر زبدالة وجوه المعاني الناضرة الى
عيون البيان الناظره لازالت ازمة الرغبا منقادة منا اليك ونواصي
البلغا معقودة اعنتها بيديك والفصاحة لاتمد سرادقاتها ولا
مقصورتها الا عليك

ورمت الى كل القلوب بحيلة وفي كل عين لك هويتك جيلة
في بناء ذلك الدمل العاصي عن الاندمال على الفتح ونصب ثنا
العامل من الادوية على المدح والدخول على جميع مادته بصورة التكسير
وتصريفها بالتحويل الى وضعيات التغيير وارخا الشد كي لا يكف
الدوا ولا يبلغا عامله ولقوله المعمول بالتجلد على التغير الذي
ارتفع فاعله فبذلك ان شا الله تغير ثغوره وتنبسط على جلد
الجلد غروره والله تعالى يديم معالم الفضل بك اهله والفضلا
ما هلك ناهله والنبلا في ظلال ظلك قابلة لتكون المستهر باحه
المحامد فيك قائله امين واما بقيه الافاضل في مصر فانهم لرثاثة
حالهم ليسوا بمشهرين واذا شئ احدهم بين الناس لوكا ربين
مفرحون في زوايا الخمول ولا يترفل في المناصب الا الجهول

ارى الدهر من سوء التصرف مائلا الى كل ذي جهل كان به جهلا

فتذكرت عند ذلك قول القائل

عتبت على الدنيا لتقديم جاهل وتاخير ذي فضل فابدت لي العذرا
بنو الجهل ابنا ي لذاك اجبسهم والهل النهى ابنا ضرتي الاخرى
ثم ذكرت حال هؤلا الفضلا مولانا قاضي القضاة اسبغ الله تعالى
عليه مواهب الافضال وبلغه ما اشتمل المذكورون عليه من الفضل

والصالحين فوعد ايام الله تعالى ايامه وزاد علاه ان يبلغ كلا منهم
مناه هذا ثم قصد مولانا قاضي القضاة ثاني يوم دخوله الاقتداء بوالده
المرحوم شيخ الاسلام وتوجه الى زيارة من في القاهرة من الصحابه
والائمه والاولياء الكرام، فزرنا تلك الاماكن الشريفه ومن فيها من
الصحابه كقبر عقبه، وشهدنا ما حواه مقامه الشريف من الجلاله والهيبه
ومقام امام الائمه محمد بن ادريس الشافعي رضي الله تعالى عنه وما
جاوره من قبر علي بن الحسين بن زين العابدين، وقبور العلماء العاملين
كالقاضي زكريا وملا مفوش المزهم بعالم الربع المعمور، وحصلنا
على كمال البركه والاجور، وتمثلنا عند قبر هذا الفاضل بما قاله
رثاء فيه ذلك الفاضل،

«الا يا مالك العلما بان ٥ ٥ به في الارض اثر كل مغربس ٥
«لئن اوحشت تونس بعدك ٥ فانت لمصر ملك الحسن تونس ٥

ثم انعطفنا الى مقام الليث بن سعد ومقام السيده نفيسه، وما
اكتنف تلك البقاع من الاماكن الانيسه، ثم زرنا مقام سيدي عمر بن
الفارض، وشاهدنا في مقامه الانس اللائح والنور الفائض، ثم
بعد ذلك توجهنا للجيزه لزيارة كعب الاحباره وما في تلك البقاع
من قبور الصالحين الاخياره ولم يكن دأب مولانا الاقتصار الزيارة
واستباق الخيرات، ثم لما قضى تلك الزيارات تصدى لفصل الاحكام
الشرعيه بين الانام، متمسكا من تقوى الله بالسبب الاقوى، محافظا
على العمل بالاوامر الشرعيه في السر والنجوى، فسار ايام الله تعالى
ايامه في الناس سيرة حسنه، ونطقت بالدعاله من الخواص

والعوام

والعوام جميع الالسنه، وسلك اسبغ الله تعالى نعمه عليه، مسلكا لم
يسبقه احد من القضاة اليه، وكان يجل العلما غاية الاجلال والاكرام
ويعاملهم بانواع التبجيل والاحترام، واتبع حذو والده المرحوم
في جميع مقاصده، ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده، واحاط
باحوال مصر علما حتى بلغ اقصاها، ولم يغادر صغيره ولا كبيره الا
احصاها، ووجه الى ازالة المنكرات همة عليه عظيمة، حتى قصع امم
الجائل من مصر فكانت عقيمه، ولم يدع بيت خمر الا كسر دنانه وخلع
اوتاده، وقطع اسبابه وهدم اركانه، ولم يبق حانا في مصر العتيقة
ولا براق الا جعلها خاويه على عروشها، ولم يرها اراق حتى سلا
الناس عن ارتضاع كاس الحمام، سلو رضيع قد علاه فطام،
ولقد شاهدنا كسر دنان خمر في مصر العتيقة على طرف النيل
فجرى لطفه بحيث غيرت لونه الاول، وذكرنا ذلك قول القائل،

، فما زالت القتلى تجر دماؤها ، ببحبه حتى ماء دجله اشكل ،

واما المساجد والاوقاف فقد عمر كثيرا منها بعد ان آل امرها الى
الاضمحلال، وصار بحيث يذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والاصال رجال، ومن جمله ما ازاله من المنكرات، وقطع اصله من
البدع المحدثات، استبلاؤ طائفه الكفار على الاماء المسلمات فصرف
الى ذلك همه الشريف وسعى فيه سعيا حميدا، واخبر الكفار على لسان
المسلمين عملا بقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا، وكان يبذل الجهد في نصرة الحق ويجادل عنه ويباحثه
ولعمري ليس له في القضاة ثاني بل لعمري انه الثاني، وبالجمله

فصفات هذا المولى الجليل تجل عن ان تحصر وتكتب في الدفاتر وتسطر
فوا عجبا مني احاول نعته ٭ وقد فنيت فيه القرائح والفطن
اقاس شيا هذا الذي انت اهله ٭ فضلا ولا انثان منه ولا الفف
ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ٭ ولا ضعف ضعف الضعف بل ثلث ضعف

ثم ان مولانا ادام الله تعالى رفيع جنابه ٭ وجه همته في منصب القضا لصهر بابه ٭ وكان يعرفه كثيرا عند حضرة اسكندر باشا بكمال التعريف ويذكره عنده بما يليق بوصف الشريف فكان العبد يتردد الى حضرته العليه ٭ وهو يميل الى المباحثة مع اهل الفضل وتحبهم محبة كلية وكنت اقابل له بعض كتب التفسير واصححها غاية التصحيح والتحرير فاتفق في ذلك الاثناء وفاة قاضي الزمنتيه ففوض قضاها للعبد وعرض الامر الى حضرته السنيه ٭ وتوجه الفقير الى القف المذكور لتنفيذ الاحكام وارسل العوض مع مندوبه فسبق خبر وفاة قاضيها ببعض ايام فاعطى القضا المذكور لقاض من القضاه ٭ وكانت عدة اقامتي بها كعدد ايام الميقات ثم توجهت بعد ذلك الى المحمه اتفاقيه فالفيت الخبر جاء من دمشق بوفاة المرحوم فوزي افندي المفتي الى حضرته العليه ٭ وانتقاله الى الدار الاخرة فكان خبرا اظلم الوجود لوصوله ٭ وصار الهم المبرح يجلوه واجرى الدمع من العيون واوجع القلوب وقرح الجفون فعاين العبد من هذا الخبر ان ساقلبه انفطرت وبحورها انكدرت وتفتت منه الاحشا وتقطع الفؤاد وذكره فقده وما كان ناسيا ان الموت نقاد فيا مولى اظلت الدنيا لفقده وخلت ربوع الفضائل من بعده . . .

فلكل

فلكل معدوم سواه شبيه ٭ ولكل مفقود سواه نظير ٭
. . . . . وبالجمله . . . . .
ولو كان غير الموت شيا اصابهم عتبا ولكن ما على الموت معتب
على ان اذا جاء الوجل المحتوم فهو حبيب في رده ٭ ولكل شي هدف اذا
ثم وقف عند حده ٭ وعلى كل فان الموت كاس لابد ان يرد الخاص
والعام ٭ ولا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمتحتم عند
تلقي امر الله تعالى بالقبول والرضى فانا لله وانا اليه راجعون فيما
قدر وقضى ٭ ولو رى ان هذا المولى حقيق بان تشق عليه القلوب
قبل الجيوب ٭ وان يجرى عليه العيون دما فضلا عن الماء المسكوب
غير ان الواجب اطاعة الله تعالى في الباطن والظاهر ٭ والتاسي
بقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو
الله واليوم الاخر ٭ . . وكفى . . . . .
سابكيه ما فاضت دموعي وان تفض فيكفيه مني ما تحن الجوانح
لئن حسنت فيه المراثي وذكرها فقد حسنت من قبل فيه المدائح
فرحم الله تعالى رحمة واسعة ٭ وبرد مضجعه الرحمة والغفران مضاجعا امين
هذا ثم ان في تلك الفضون عزل اسكندر باشا وقدم حضرة الوزير
الاكرم سنان باشا متوليا الى المملكة المصريه واتفق في تلك الايام
خلو مدينة فوه من قاض ينظر في الامور الشرعيه فاقتضى الحال
بمشورة مولانا حفظ الله تعالى جنابه الخطير تقليد العبد قضاء
البلده المذكوره من حضرة الوزير واجره شفاها بالنظر في احكام
وفصل القضايا الشرعيه بين الانام ففي حالة التوجه الى البلده

البلدة المذكوره، وصحبت معي صاحب الفاضل الشيخ على المالكي ذا الفقار
المأثوره، وودعت مولانا قاضي القضاة حفظ الله تعالى ذاته الشريفه
ورعاها، وركبنا في السفينة قائلين بسم الله مجراها ومرساها، وافينا
دخول البلدة عشية نهار الاحد سابع عشر جمادى الاولى سنة تسع
وسبعين وتسعمائة جعل الله تعالى عاقبتها الى خير، وكان من لطيف
الاتفاق ان رسولنا قدم في ذلك الوقت الى مصر بتوليتنا قضاء
والقصير، فحصل لمولانا قاضي القضاة غاية البشر والسرور وجهز
صحبة مراسيم شريفه لضبط قضاننا المذكور، وكان صحب الرسول
عروض تتضمن الترقي لصاحبنا الشيخ على المذكور في المدرسة
السريا قوسيه، واخبرنا بحصول ذلك الترقي واتمام تلك القضية
فررنا باتمام ذلك المرام، وتوجه بعد ذلك صاحبنا المذكور الى
بعد ان اقام عندنا بعض ايام، ووجدنا لفراقه انسه وحشه
وافتقدنا لطف مصاحبته العليه، ثم في خلال تلك الايام وردت
حضرة الباشا عاملة الله تعالى بخفي الالطاف المفتش في بعض
الامور مراسيم شريفه للفقير ولبعض قضاة تلك الاطراف
فلما اجتمعنا للفتيش وقع للفقير مع بعض اولئك القضاة مباحثة
في خصوص، والزمته وبينت له خطاه بموجب النقول والنصوص
ثم اتسعت بيننا دائرة البحث والكلام، وانتقلنا من مقام الى مقام
وقد كتبت القضية برمتها، واودعت هذه القضية بجملتها ضمن
مكتوب ارسلته اذ ذاك لقاضي القضاة ادام الله تعالى فضله وزاد
علاه فانه كان يوكد في ارسال المكاتبات المطوله المفصله الى

خدمته الكريمة المفضله، بحيث تكون مشتمله على مزيد الاطناب
حسبما تقتضيه مقام مخاطبة الاحباب، فقصدت اثبات المكتوب
برمته في هذا المقام لتضمنه تلك المجريات بالتمام وصورته سيدي الله
تعالى صدر الشريعة بمشارق انوار تلك الطلعة البديعة، ولا زال
ثناؤها منصوبا على المدح، واكف الداعين ببقائها مبنية على الفتح
وبعد اهداء اسلام فض الاخلاص ختامه، ونصب القبول في خفض
العيش خيامه، فان تفضل المولى بالسؤال عن عبد بابه الالتزيف
اعتابه، فهو ملازم على ادعيته، وهو واظب على اثنيته، ونسال الله
تعالى ان تحب على هذه الدعوات نسمات القبول، وان يبلغكم
في الدارين كل سول، ما يعرضه المملوك على خدمتكم العليه، وينهيه
الى سدتكم السنيه، انه لما اتى الى مدينة قوه، وجد فيها ناس في
غاية الفضل والاستفاده، واخرين في غاية الجهل اظهر رغبة منهما
غاية النظام والسداده، وان القاضي بها كان ولى احدهما بعد
والثاني برشيد وكل منهما توليته غير صحيحه، ورأى العبد شكايته
اهل البلد من ظلمهما، وافعالهما القبيحه، واطلع على عدم استقامتهما
ورأى ذلك رأي العين، عرض امرهما الى حضرة الوزير فبرز امره
الكريم برفعهما، وابقاء النائبين المستقيمين، وكان احدهما سعى
الى قاضي رشيد، فارسل يشفع عند الفقير في خوده وبالغ في
سبب عزله فكتبت له الجواب ما يوضح على مولانا اسبغ الله تعالى
على العالمين بديع ظله صورته بعد فواتح الاسدي تحيط علمكم الكريمه
ان السبب في عزل النائب المذكور هي الصفة التي لو قدم منها اخر

لذاق مرها الوخيم ولو ابصر بهذا المقدم عاقبة امرها لكان اذا نظر
سليم ولو ابدل فاضله بقاف وعينه بنون، ولو لم تكن يده مبنية
على الفتح لدبر كل الكون والظاهر ان سيده الفقير نفوه بلغت
الخاص والعام وشبه بالاستقامة على احسن نظام ومن الموجودات
الذابو باعرابه ستوعده ولكن بعض الافعال لزينه ٥ بمرفوع والغير
مالام افعاله الابعد ان ظهرت لديه وهي عين، ولم يعول فيها
على اخبار مخبر حتى ينسب لمين، ومع هذا فقد اظهرت الرعية منه
ومن قرينه غاية التظلم وان اعددناه دونه بذرنا قضية التحكم
ثم ارسلنا له وما اخاله لعاينها يفهمه، ولكن وما علي اذا له، وما
احراه بقول القائل

• ولقد ذكرت لك المراد فان تكن فطنا عرفت وما اخالك تعرف •

ثم اتفق في تلك الغضون ان ورد امر شريف للكشف على بلد في
اوقاف . . . من قضاء فوه المذكور بالخطاب لقاضي فوه وقاضي
اسكندريه وقاضي رشيد وقاضي دمنهوره فصار بيننا وبينهم مباحثة
عظيمه عجيبه، وامور غريبه، ومذاكرة عليه، وبحث شديد ناشئ بعضهم قضايا
بالقافيه، عز للعبد ان يعرضها على مولاه لابرح مرفوع الجناب
ليقضي منها العجب العجاب، اما قاضي رشيد فلا سئاله الكيف بلا مني ولا
اين فلا يرى دائما الا وهو مفتوح الفم مضموم العين، فكان ابتداء
مصاحبته معنا ان قال لاي شئ ان خزلته النائبين المذكورين
فقلت له هما اولا ليسا بنائبين شرعاه وثانيا انهما سوذيان طبعا
وثالثا ان بلغ ارباب الدولة اننا نخدم اربعة نواب مرة

ينسبوننا

ينسبوننا الى السفه وعدم الصواب على ان حكمة مصر المحميه ليس
فيها اربعة نواب شافعيه، ثم طال الكلام بيننا الى ان اقتضى الحال
في ذلك الوقت كتابة هذه الرساله المعروض بعضها على جناب مولانا
سد الله تعالى ظلاله صورتها بعد البسمله حمدا لك يا من نصب القضاة
للعدالة ورفع مناصبهم حيث خفض ارباب الجهالة والصلاه والسلام
على سيدنا محمد المسدد في اقواله والمؤيد وعلى اصحابه والآل، واما
لنا بعين لهم باحسن منوال، ما سطع نور الحق وظهر برهانه وانحة
شبه الباطل وحمدت نيرانه، وبعد فهذه مباحثة صدرت بين الفقير
وقاضي رشيد، وفقه الله تعالى لكل امر سديد، وذلك ان القاضي
بفوه لما ذهب لاهلها قاضيا، ولوظيفة القضا نائبا، وقبل بل
تولى هربا، او ليبلغ في الارض سببا، وقد حضرة الوزير الافخم
والمشير الاكرم، حضرة سنان باشا اعزه الله تعالى انصارا ما ذهو
وكيل الخليفة ايد الله تعالى سلطنته وضاعف اقتداره، قضاء
البلد المذكوره لهذا العبد الفقيه الراجي رحمة ربه القدير، واذن
له شفاها بالنظر في الاحكام الشرعيه، واحكام الامور الدينيه، وبعد
فيها نائبين تكررت شكاية الرعيه من احوالها، وعدم استقامتها في
افعالها وافعالها، وكان نصبها القاضي في غير محل قضائه، وعكان
توليته وامضائه، عرض الفقير امرهما الحضرة الوزيره فبرز الامر
بعزلها من جنابه الخطير، لاشتغالها على ظلومات صريحه، ولكن توليه
القاضي وهو في غير محل ولايته نائبا غير صحيحه، لما قاله في بعض
كتب الفتاوى المولى لا يكون قاضيا قبل الوصول الى محل ولايته

فمقتضاه جواز قبول الهدية قبل الوصول وعدم جواز استنابته
فقال قاضي رشيد ارشده الله تعالى للصواب بل توليته صحيحة لان
عادتنا معاشر القضاة ارسال المكاتيب بنصب النواب فقلت له قد
اخطأت يا مولانا في الحكم والعلة ولم تصب في التفصيل ولا في
الجملة وكلامك هذا في معرض الرد والاندفاع وان ما استدللت به
استدلال بمحل النزاع ثم بحث قاضي رشيد الرحمه الله تعالى رشده وزعم
ان تولية الفقير من حضرة الباشا غير صحيحة فغلط في كلامه وردة
وقال له ليس الامر كما تزعمه وتقوله وقد نطقت بخلاف قولك
المقول وليس هذا الكلام سلك الامحض الغلط ولو وقفت
على ذكره في الملتقط حيث قال يجوز قضاء الامير الذي بولي الخليفة
وكذا كتب به الى القاضي الان يكون القاضي من جهة الخليفة لرجمة
عن مثل هذا الزعم والاقوال السخيفة وقد افتى بعض المحققين
من المتاخرين بان تولية باشا مصر قاضيا ليحكم في قضية بمصر مع
وجود قاضيها المولى من السلطان باطلة لانه لم يفوض له ذلك
ومفهوم هذا لا يخفى على من له ادنى عرفان فلذلك حينئذ من له
في الفضل نوع قوة في صحة تولية الباشا لهذا الفقير قضاء فوه
لعدم قاضيها كما يؤخذ من عبارة ما افتاه هذا الملفق بطريق المفهوم
وكون الوزير وكيل الخليفة في مثل هذا الخصوص امر معلوم بالقول
على سبيل الترقي لو نصب العبد قاضيا نيابة عن السلطان جاز قضاء
القاضي كما صرح به ائمة الاتقان فما بالك بوزيره ومعتمده
وظهيره هذا ما نقله اكابر العلماء المدققين ولا ينكر ذلك الا الجاهل

او

او معاند نعوذ بالله من الشيطان الرجيم وان نكون من الجاهلين
والحمد لله وحده ثم ارسلنا اليه وقلت له لا بد من ارسال هذه الرسالة
مع عرض الى حضرة الوزير ليطلع على ما ابديته من الجواب الشهير ثم انه
في ثاني يوم افاق بعض افاقة واتى الى منزل الفقير وابدى الاعتذار
بحب الطاقة وسالنا في عدم العرض فطوينا عنه صفحا وطلب الصلح
فقلنا لا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والح علينا هو وقاضي
اسكندريه لنتوجه الى ضيافته في بلدته رشيد واكد ذلك بانواع
التاكيد واما قاضي دمنهور فانه جاهل لم يدر مقامه ولم ترته
الكتف والحرير تقدم على الفقير وكتب امامه فضربنا عليه حتى
انته ثم ابصرنا عارقه فكان الذي كتبته ما قراته من الراعي الى
الملك الغفور محمد القاضي بدمنهور فقلت له ما هذا الا جهل شهير
بين والعياذ بالله تعالى خطا كبير فان الغفور بالفتح لا يوافق
ولو راى ذلك حضرة الباشا لعلم ما هنالك بلا خلاف ثم لما
رفعه على الحكم والمثال علامة القبول والامتثال كتب ناظره
استلمت الى امر الشريف محمد المولى بدمنهور فقلت وقد اخطات
ايضا في هذا الامضاء من ثلاثة اوجه وتجاوزت هذا الاول
جعلك الفعل متعديا وهو بنفسه يتعدى والثاني اضافتك الامر
الى الشريف ولا يخفى على عاقل ان الواجب التوصيف والثالث
تقاء اسمك مفلتا بلا سبب ولا رابط ولا علاقة ولا ضابط
الى غير ذلك من العجائب والنوادر الغرائب سبحان الله تعالى
وعلى قولهم الذي بالذي يذكر فقد ذكرنا عبارة دمنهور ما

ما وقفنا عليه هذه الايام القاضي في مدينة الغيوم من كتابته
امتثال على الحكم المذكور صورة ما ورد الامر الشريف من الباب
العليه والعتبه العاليه الرفيعه فنظرت ووقفت وامتثلت بالسمع
والطاعه الفقير ابن مولانا على العربيه القاضي بمحروسه غيوم الحميه
عفى عنهما الكافي الضعيف فلما تاملت هذه العبارات طفح على السرور
وفاح واذكرني ما كنت ناسيا قضايا بالقاف وعجبت من هذه
السجعات المطربه وحكمت بان هذه لبست الا من تلك سنشعبه
وفضيت من ذلك غايه العجب واوسعت على نفس حظ ابنا العرب
واما قاضي اسكندريه فانه في غايه ما يكون من الاوصاف المرضيه
وقد اطلعني على مكتوب بخط فخر الموالي المعتبرين عبد الرحمن
چلبي افندي تبعثون وصوله الى القسطنطينيه وان جميع الموالي
انوا للسلام على حضرة العليه وانه توجه حين وصوله للسلام
على حضرة مولانا المفتي ادام الله تعالى ايامه واطال بقاه وخلد
اعوامه وتوجه ثاني يوم دخوله الى حضرة الوزير الاكرم وذكر
عنده من اوصافكم الكريمه ما شهده وسمعه من افواه العالم فزاد
اعتقاده بحضرتكم وسره ما سمع من حسن سيرتكم وان بروزكم
اجتمع بعد ذلك بيوم بحضره الوزير خلد الله تعالى ايام سعادته
وصفا جنابه الخطير فذكر له ما شكره عبد الرحمن افندي منكم
وما بلغه من الاوصاف الحميدة عنكم فزاده ميلا الى مولانا واعتقادا
فيه وقال سبحان الله الولد سر ابيه ثم ان مولانا حامد افندي وبروز
افندي توجها الى بيت عبد الرحمن چلبي بعد مجلس السلام وشكراه

على

على مدحه لكم هرسه الله تعالى بعينه التي لا تنام بعد تقبيل اليد
الشريفة ثانيا والسلام في المبدا والختام هذا اخر المكتوب الذي ارسله
الى جناب مولانا ادام الله تعالى فضله المتضمن لتلك القضايا بالتفصيل
والجمله هذا ثم ان اهالي فوه كانوا اذ ذاك شكوا من رئيس المحضرين
برا المدعو بحسام وذكروا انه يتعدى عليهم بالفرض ويفوق اليهم
السرام وفرفه الفقير لما بلغه من افعاله وسمعه من سيرته واحواله
فجا بمكتوب من حضرة من بالفضل مشهوره والتحقيق موصوف مولانا
فخر القضاة سنشي افندي القاضي بمنوف وهو على الاطلاق افضل
قضاة هذه الديار واليه من بينهم بزياده الفضل يشاره ينضمن
مكتوب الشفاعه عند الفقير بالمذكوره وان يكون نظره عليه وذكر انه
قد تاب الى الله تعالى ورجع عما نسب اليه فقبل الفقير ما اشار به
حضرته وكتب له عن ذلك جوابا صورته ان احلى ما تنطوي عليه الالسنه
في جميع الازمنه والاوانه حمد سنشي انشا الموجودات بقدرته على
احسن نظام وشكر معيد البدع الكائنات ببديع حكمته على مقتضى
المقام اختار من خلقه خلاصة هداهم بهدايته الى التوفيق . .
وارشدهم بنور عنايته الى اقوم طريق وصلاة على افصح منطيق
نطق بالضاد صلاة يروى بها يوم الفصل كل صاد وعلى آله واصحابه
وتابعيه واحبابه ما اطرى سنشي في مدح اوصافه العليه فاطرب
وشنف المسامع بلطائف نعوته الشريفه فاطنب امين وبعد رفع
دعاء اذا قصد باب القبول قبل له ادخلوها بسلام وسلام اعطر
من حديث النسيم باخباره زهر الكلام ووصف اخلاص موكد

بنوابع المدح والثناء واعراب عن محبة شيفا البنا، وفت الاشواق
التي عجزت عن حصرها الاوراق، فقد وصل مثال الكريم من حضرة من
فاق اهل العصر بفضائله الحسان، والمنشى البليغ الذي اذا انشا
انسى سحبان، ففاز بالمخلص بالاجلال والاعظام، وهذب صفحا
عن شاكي هامله حسام، فانه كان شكى منه بعض الناس وتظلم
وذكر انه ينشب الرعيه باظفار لم تقلم، ولكن نرجوه المجاز عن
ذلك الطريق حيث كان مرسلا من جنابكم الشريف، واذا كان مضافا
الى جنابكم، وموصولا باعتابكم يكفي كمال التعريف، على انه كان
السبب في فتح باب المصاهبه، والباعث على المراسله والمخاطبه، وطالما
تتشنف الاسماع باوصافكم التي سارت بها الركبان، وفضائلكم التي
تتشهد بها اعيان الافاضل وافاضل الاعيان، وانتم في امان الله
وحفظه على الدوام والسلام هذا وقد ورد علي وانا قاض بفوه
مكاتبات من احبابنا الاهالي المحبة القاهره ادام الله تعالى عليهم نعمه
الوافره من ذلك مكاتبة من مولانا فخر المدققين القاضي بدر الدين
القرافي المالكي.

- ابا بحر المعالي والمعاني . ومن للمكرمات يجيد عزما
- لتهنى بالولا بحسن مجد . وبرجوان يزيد ذا وتنما
- لعوة قوة ابدت سريعا . فضافا بقصد ترجمانا
- فقد جاء الرسول بكتب مولا . وفاض عكر قد راد حكما
- بنو لبه القصير كذا قنا . وقنا يارب هما تم غما
- فكان بحبه يوم الالتقي . وفيه سافر اقدام وحمى

فعاجلنا بكم من وزير . ومكتوب لقاضي مصر رسما
مخافة ان يطول الامر يوما . ونخشى ان يضيع الحال هشما
وتدريس الفقير الى جليا . على وجه يزيد الحال عما
بقيتم في علو وارتفاع . ودمتم تمخضون الخلق علما
فكتب له صورته
انا في منك مكتوب كريم . حوى البشرى ولكن فاقنظما
فسوفني لاحبابي بمصر . وجد دعهدا سوافي ومنى
فاني لم افارقهم بقلب . وان فارقتهم بالغير جسما
وقد سر الفقير بما ذكرتم . لمن شفع مكتوب وحكما
فمصر ليس لي فيها صديق . سواكم ارتجيه لما اهما
فان تك شافعي حكما هديتا . فانك مالكي بالجود قرما
وفعلك للجميل اذا تقدى . وخصبك اخوانا وعما
فكم اوليتنا فعلا جميلا . وكم لك مثل هذا الفعل اكما
فلا زالت عوارفكم غزارا . فلم تجد البحار اليك عزما
ويدرك سرقاني افق سعد . ويجدك سامخا بدأ وختما

ومن ذلك مكاتبة من فخر الافاضل والادباء، وعمدة البلغا والبلغاء
الشيخ محمد الفارضي باسمه واسم فخر الاهالي والاعيان سيدي محمد
الظاهري الموقع بالديار المصريه، توصيه باناس من اهالي فوه المحبة
مولانا حرسه الله تعالى وحماه، معروض الفقير ان ايام السعد لهم
خير مطول، وليس الاعلى فضل مولانا المعول، ملخص او مختصر
وقضية ادعى شخص بمبلغ، وانه اصبح بملك ربعا، والمسالة متعلقه

شبكة الألوكة www.alukah.net

بابنام، وعولنا حسنة هذه الابنام، فعولنا لانجليهم من العنابة، ادام الله
تعالى لهم الرعاية، ولا يخفى الحث على اكرام البنيم، وقد جاء ذلك في الذكر
الحكيم، والبتيم في عافية، وفيه كافية شافية، ومن ذلك مكاتبة من صاحبنا
الفاضل الشيخ على المالكي صورتها

سلام كعرف المسك فاق بعطره، وورد كنشر الروض زان بزهره
على من غدا يعلو السماكين رفعة، ويسفل عنه الفرقدين لقدره
امام له در المعاني قلائد، وقد فاق في نظم الكلام ونثره
وبعد فيا رب الفضائل والحجا، ومن قد غدا يسمو بثاقب فكره
البك اشتياقي لا يجد لانه، تنزه عن ضبط وحد وحصره
وان عدا من نائي بحبك، تدانى له صرف الزمان بقدره
يحن البك كل وقت كانه، يحب جفاه حبه طول عمره
بعيد قريب منكم بضميره، وفارقكم في جوهره دون سره
اذا ما خلت منكم مجالس وده، فقد عمرت فيكم مجالس شكره
ولولا رجاه ان وقت لقائكم، سحائب صيف ساق غما بقطره
سقى الله ايا ما انقضت بقربكم، هواطل من ظل الغمام وقطره
لكم ابدا مني سلام مضاعف، وازكى تحيات الى يوم حشره

هذا ثم اقمنا بفوه المذكوره مدة في غاية الحضور لا نخشى ضررا ولا
بؤسا، وكانت اقامتنا بها كضعف ميقات موسى، وبعد ذلك فوض
قضاؤها القاضي، وفارق الفقير اهاليها وهم رضوان عنه وهو عنهم
راض، وكتبوا لنا محضرا ذكروا فيه ما شاهدوه من سيرة الفقير
وشيه على اولى سنن واقوم طريقه، وانه لم يتول عليهم قاض مثله

في الحقيقة

في الحقيقة ورقه عليه الافاضل من اهاليها، والمعول عليه من اهل العلم
فيها، وكان خروجنا منها ثامن عشر شعبان سنة تسع وسبعين وتسعمائة
من الاعوام، ووافق ذلك اليوم خروجنا سنة ثمان من دمشق الشام
وقد امدحني افاضلها بفصائد فصيحة، محتوية على مقاصد لطيفة وغالبها
رجيحة، من ذلك قصيدة كتبها الشيخ الفاضل العلامة، والحبر الفهامة القاضي محمد الغزي صورتها

انظفك ام سحر اجودك ام بحر، اوجهك ام شمس وماطلع الفجر
امجدك ام فخر الزيا على الذرى، احمدك بين الناس قبلي ام الذكر
تناهى ثبوت الكرفيك فلم يزل، لربك لم يلحق بباكم عذر
اليك محب الدين وجهت مقصدي، على دات عزم زانها النظم والدر
بذكرك قد عطرت انفاس سيرها، فسار وطول الارض في عنبر نشر
الى كهف علم يسبق الطرف فهمه، سحاب ندى في الناس نائله غمر
وكلا فان السحب بالقطر جودها، وجوده في قطره يوق البحر
كثير سهاد العين في العلم للعلا، وبرضيه من اغفاء اعينه النزر
وقد قلد الاعناق منه قلائدا، ترى سيد الاوسنه ليس يشكر
الا يا محب الدين فخرك قائم، وما لامرئ لم يمس من حماك فخر
فانك شمس اهل المكارم مالهم، من العيب الا ان بهم حسى الذكر
وما فخرهم الا لانك منهم، وان بلادا نلت فيها لها فخر
وقد صل كتب بمنت غير سوحك الفسيح فزدوهي من قصدها صفر
وان قد وزنت الناس عقلا وهمة، وفضلا ووصلا كان فيك لهم قهر
فانك رضي الرحمن عما فسرته، بفوة من عدل وبذل ونشر

وحيث وكان الناس في الاصر والفنا ... فجاء الفنى والباس بطرده اليسر
وارسلت امنا في فنا وقصورها ... ففصر عنها السو وانفصل الشر
يجوبك ذكا الفكر ما بعد يوم المجد ... به فانت الحارق الذهن النفر
اذا اشتبه الامران عز برائك السديد ... شديد الحق بمنازه الذكر
وانت سوى الحالتين على المدى ... على سنن التقوى هما السر والجهر
فذا شان من لم يخش الا الهه ... وذاك هو الجود المؤسس والفخر
وما هي الافكرة حمرية ... اذا انقلت بالمعنى رحل الذكر
ومن زايضاهي ذا المحب فانه ... سبيل المعالي وصفه النصر والصبر
اذا ما قضى امضى فارضى بحكمه ... جميع براياالخلق والخالق البر
وان الرعايا حيثما قد اتاهم ... بشرك بعد الحزن عن قدم سروا
بعيشك حالي هل اقاس بالذي ... له ظاهر الدعوى وانت لي النظر
فما انا ممن يرتضي علي اوعى ... لحظ عدو حفظه عندك البر
سرهبان في حبيك عدلا عندكم ... قبولها حزم هما القلب والفكر
سلوا عن مودات الرجال قلوبكم ... وذلك شهود دشاهد قد حكى الشعر
ثم قدمت الى المحبه الفقيه في اواخر شعبان وانا بفرط الاشواق
الى مشاهدة ذات مولانا قاضي القضاة لا برحت عالية الشان وعرضت
عليه المحضر فسر به ادام الله تعالى سروره واستبشاره وصحبني
في خدمته الى حضرة الباشا اعز الله تعالى انصاره وعرض المحضر
المذكور على حضرته العليه واكد ذلك بمؤكدات ومحسنات تذهب
فانبجت تلك المؤكدات والمحسنات ان عاد علي من حضرته الكريمه
بعض الصدقات وكم لهذا المولى على عبده من هذه الصدقات

فوائد

فوائد وطالما اهدى اليه من نفيس ما يعجز عن بعض شكره الزائد شكر
ولو انني اوتيت كل بلاغة ... وافنيت بحر النطق في النظم والنثر
لما كنت بعد الكل الا مقصرا ... وعترفا بالعجز عن واجب الشكر
هذا وكان العبد في تلك الاثنا ينشوق الى افاضل اخوانه بدمشق
المحروسه وينشوا الى اخبارهم ترد عليه من حضراتهم العليه الماتعه
وينشد من شدة اشواقه التي اورثته الفكر والحيره ياجيرة ان الحي
من يحوكم خبره فبينما هو من الاشواق على شفا اذ وردت عليه مناسر
رسائل ولا رسائل اخوان الصفاء وفضضت منها الختم فالفيتها
شنفة على عرائس المعاني على حور مقصورات في الخيام ...
وقبلتها الفا والفا فقال لي ... غرامي زدها واضرب الرقف في الرقف
فحين
فمن ذلك مكاتبة من صاحبنا فخر الافاضل المتبحرين وزبدة العلماء المدققين
مولانا الشيخ عماد الدين ادام الله تعالى افضاله وبلغه امانيه وامانيه وهي
سلام كعرف المسك بل هو اعطر ... وازكى تحيات تضوع وتنشر
على الحضرة العليا والساحة التي ... بها الفضل ثاو والافاضل تفخر
على ساحة قد بها السماحة والندى ... وساكنها مازال بالخير يذكر
سلام محب لم يحل عن وداده ... وان صحيح الود لا يتغير
امولاي ان الشوق مرمزاقه ... وان فراق الالف لا شك يعسر
واني لمشتاق بدنو جمالكم ... ولست على حر القصيد اصبر
لانكم ان ان عيني ونورها ... وكيف بغير الضوء عيني تبصر
فجودوا وروا واعطفوا وتفضلوا ... وصنوا بقرب وارحموا الصب واعذروا
بقيتم وفيتم ودمتم لاعدمتموا ... ولازال راجيكم مدى الدهر يجبر

شبكة الألوكة www.alukah.net

• فكتبت له جوابا صورته •
• غب تقبيلنا لتلك الايادي • وولاء من مخلص في الوداد •
• وثنا اليفوق نشر خزامى • على المسك اذ ذكا والزياد •
• وسلام مؤكد من محب • سالك في الورى طريق الرشاد •
• ان عيني لما بعدت عنها • شخصكم مرها اليم السهاد •
• قد جفاها المنام مذ فارقتكم • وفداها من بعد طيب الرقاد •
• يا اهيل الود الذي بي يحب • انتم مقصدي وانتم عمادي •
• كيف اسلو وحبكم حل من قلبي • ومن مهجتي سواد الفؤاد •
• ما قصدت الفلي وان كنت فيها • راشتياقي فداحرقت اكبادي •
• حاشا لله ما الجفا بمرامي • لاولا الهجر والصدود مرادي •
• ولئن غبت عنكم فوداري • مثل ما تعهدون بل في ازدياد •
• صح من علة وحاشاه من سلو • اختيال يشينه اوفساد •
• لست ممن تكلف الود حاشا • لمحب تكلف في وداد •
• وعلى كل حالة حيث ما كنت من الارض قربها والبعاد •
• انني من اقل عبدكم اذ • انتم من بين الورى اسيادي •
• قسما بالوداد يا جيرة الحي • وبمولاي بالله رب العباد •
• لم اصل عن وداد كم ابد الدهر وان طال عن ذراكم بعادي •
• كل حين يحرك الوجد مني • شجنا ساكنا لذاك الفؤادي •
• فعلى اهل الكرام سلامي • ابدا دائما مدى الايادي •
• لا برحتم في غبطة وسرور • قادما دائما وفي ازدياد •
• ما تغنى حمامة فوق غصن • ورقى بلبل على اعواد •

ومن ذلك ما كتبه فخر الاهالي والمدرسين وزبدة الاكامل المدققين
مولانا الشيخ شمس الدين بن المنقار دمت فضائله صورته

من يوم بينك كل طرف دامي • لم تكتحل اجفانه بمنام
لما رحلت ممتعا بسعادة • ومصاحبا للسعد والاكرام
خلفت بعدك كل خل هائما • يجري الدموع خلف كل سقام
سكران من كاس الفراق معذبا • باصاح بالرجعان والالمام
يشدو بذكرك من تولك اذاه • العشاق في ركب بكل مقام
مولاي بعدك قد تفرق جمعنا • وضياء نادينا انمحى بظلام
فالبعض منا بالحجاز وبعضنا • في الروم والباقي بارض الشام
قد كنت واسطة لعقد نظامنا • حتى انفرد فحل عقد نظامي
وكذاك كنت البدر نطلع في الدجا • فنزين عنا وصمة الاظلام
وضياؤ وجهك في النهار ازابدا • فالشمس تستر وجهها بغمام
هذا وعبدك مات بعدك صبرة • فاسلم ودم في السعد والانعام
فعليك مني المحب تحية • لاتنثني وعليك الف سلام
وسقى الاله ديار مصر وانجلاها • انواء سحب من يديك غمام
لما حللت بها نفضت كمها • فزها وبدل نقصها بتمام
والنيل زار على القياس فاصبحت • راحاته مخضوبة بمدام
لاغروان شرفت مصر واهلها • فلطالما شرفتها بالتام
اكرم بنفس للانام كريمة • وشريفة ازرت بنفس عصام
جمعت لها طرف السيادة اذ غدا • يزهو بالاقدام لا الاحجام
لازال يرفل في ثياب سعادة • ويجر ثوب الوفق فوق الهام

شبكة الألوكة www.alukah.net

ما شوق المشتاق طرس رسالة ... وحديث أشواق وفرط غرام
فكتبت لهم جوابا هن ذيك
ورد علي من الجناب السامي، ورقا تفرعن فرع بسام
قد أنبأت يا سيدي عن بعض ما، عندي من الأشواق والآلام
وشرحت فيها بعض بعض صبابتي، وغزير أشواقي وفرط غرام
فكأنما صوت الصدى ان حدثا، داني وجاوبني بمثل كلامي
حاشا لمثلي ان يكون لديك يا، قس الفصاحة مفصحا بكلام
لكنها من بحر كاملك الذي، عذبت موارده لكل هيام
بالله قل لي من لآل صفاتها هذا النظام رصعت بنظام
أم ذلك السحر الحلال نفثته، هن اخذت مجامع الافهام
احسنت فيه الجمع والنشر اذ، ادرجت فيها ذكر اهل ذمام
فعليهم وعليك الف تحية، في كل اصباح والف سلام
يا سادتي رفقا بصب هائم، اضحى حليف صبابة وغرام
قد طفت اجفانه طيب الكرى، وعدمت روحي ان وجدت منامي
فاليوم اصبه بشهر كامس، والشهر اصبه بالف عام
ولئن غدا في مصر عبد جنبكم، فالروح عندكم بارض الشام
ما يذكر المملوك اياما مضت، الا ويبكيها بدمع هامي
فعلى دمشق تحية من مغرم، ما شام برق في دجى وظلام
وسقى الحمى والساكنيه على المدى، هتانة تهمي بصوب غمام
لا زال ربعك بالفضائل آهلا، والسعد والاقبال والانعام
ما دمت تنظم من رسائلك التي، في حسنها قد قيد على النظام

درر

درر على كل القصائد فخرها، في حسن مطلوع وحسن ختام
ومن ذلك مكاتبة من فخر الافاضل وخدمة المدققين الاماثل ملا
اسعد الدين دام فضله مصدرتها
احن الى مصر وطيب مقامها، وحب الاولى حلوا بها اول القدر
ولاسيما ذو الجود والفضل والتقى، واوصاف الحسنى تجل عن الحصر
واني وان سط المزار لفاتن، عليكم سلام الله يا ساكني مصر
فكتبت له جوابا هذا
اتاني كتاب طيب النشر والنشر، من الفاضل المشهور بالعلم والفخر
وفيه سلام رائق رق لفظه، ومعناه حتى فاق في النظم والنثر
فهيج اشواقي الى ساكني الحمى، ولم انسهم فاردت ذكرا على ذكر
فاني بروحي عنهم كل ساعة، وان كنت قد حللت بالجسم في مصر
احن الى تلك المعاهد كلها، تذكرت ايامها مضت سالف الدهر
فاها على تلك الليالي وطيبها، لقد اشبهت في حسنها ليلة القدر
فياليت شعري هل يعيد الدهر بالذي، مضى لي مع احبابنا الانجم الزهر
سلام على جمع الصحاب الذي زها، ولكنك المخصوص مولاي بالذكر
مدى الدهر ما ناحت حمامة ورقا، ونرنم فوق الايك في غصنه القمري
وما كتبه لمولانا وسيدنا ناصر العلماء المدققين، وزبدة الفضلاء
المحققين، مولانا الشيخ اسماعيل النابلسي ابقاه الله تعالى ظلاله
وزاد علمه وادام افضاله. مأثورة
لواء التهاني بالمسرة يخفق، وشمس المعالي في سما الفضل تشرق
وسعد واقبال ومجد مخيم، وايام عز بالوفا تتخلق

فيا ربها المولى الذي جل قدره ٠ ويا ربها الحبر اللبيب المدقق
ترى الشام مذ فارقتها زال نورها ٠ وثوب بهاها والنضارة يخلق
اذا غبت عنها غاب عنها جمالها ٠ ونفس بدون الروح لا تتحقق
وان عدت فيها عاد فيها جمالها ٠ وصار عليها من بهائك رونق
فيا ساكني وادي دمشق مزاركم ٠ بعيد وباب الوصل دوني مغلق
وليس على هذا النوى لي طاقة ٠ فهل من قيود البين والبعد اطلق
واني الى اخباركم متشوف ٠ واني الى لقياكم متشوق
واوداي اهدي السلام لنحوكم ٠ باني في اذيالكم اتعلق
فحوا على المضنى الذي لو بصيره ٠ اذا مسه ذيل الهوى يتمزق
غريب باقصى مصر اضحت داره ٠ ولكن قلبي بالشام معلق
وبالشام ثوى اهل الوزير روضة ٠ وفيها عيون النرجس الغض تحدق
وانظر وادیها وآوی لربوه ٠ وماء معين حولها يتدفق
ويحلو لي العيش الذي مر صفوه ٠ وهل عائد ذاك النعيم المروق
وانظر ذاك الجامع الفرد مرة ٠ وفي صحنه تلك الحديقة تنسق
واصحابنا فيها نجوم زواهر ٠ ونور محيا وجههم يتالق
فدر برحوا في نعمة وسعادة ٠ وعز ومجد سادوه ليس يلحق
ولا زال يا مولاي شجا مباركا ٠ عليه من الله الثواب المحقق
ولا زلت في كل المقاصد سيدي ٠ من الله في سعد وانت للوفق
مدى الدهر ما هن الغرب الى الحمى ٠ وارسل دمعا بل دما يتدفق
وما صاح كرور على غض ايكة ٠ وغرد قمري وناح المطوق

هذا ثم اقمت في مصر المحمية الى اواسط شهر رمضان المعظم قدره

وبرزت

وبرزت الاوامر الشريفة بعمارة قلعة في القصير فامر في حضرة الباشا بسرعة التوجه الى القصا فلزم ان يطاوع امره فتوجهنا فاقضي القضاة لازال وابل الغمام صيبا، وتممنا عند ذلك صعيدا طيبا، ووصلنا الى محمية قنا في سادس عشرين المذكور وهو نظير اليوم الذي وصلنا فيه الى مصر في سنة ثمان، فيكون ما بين دخولنا لمصر وقنا عاما كاملا بلا زيادة ولا نقصان، فلما كان اوسط ذي القعدة الحرام ورد الخبر بان مولانا قاضي القضاة تولى قضا محمية بروسه، وكان في تلك الايام ورد على العبد حكم بحرير الرزق في بلاد الصعيد فلم يبلغه الخبر الا بعد توجه ذاته المانوسه، ولم يمكنه المجي للوداع حضرته الكريمه لابعدت عالية المنار، وشق علينا فقد جنابه الشريف عن هذه الديار، وكان اذ ذاك صاحبنا فخر القضاة المدققين، مولانا القاضي تقي الدين، عين من جناب الباشا الى قضا، وجرجا بجمع الفلال، وبينها وبين قضاتنا يوم او بعض يوم لمبتغى الترحال فارسل لنا مكاتبة شريفه، ومراسلة بديعة لطيفة يذكر فيها ما عاقه واما قطب فلك الوجود، ونبرذري معاقد العهود، مولانا افندي قاضي بروسا لازال عالي المقام فان الفقير فارقه وهو يتلو عليكم رسائل التحيات المعطره، ووسائل التسليمات المعنبره بلغه الله تعالى اقصى الآمال، وخلد ايام سعادته ما دامت الايام والليال، انتهى ثم ان هذا العبد بعد مولانا قاضي القضاة ضاقت عليه الارض بما رحبت، وعاين ان روحه من حسه سلبت، وزرقاء بعد بينه كاس فرق دهب بلبه كل مذهب، وسفاه النوى سوط عذاب

طعم الصبر اطيب منه واعذب . . . . . .
. والله لكن في مصر ما سرت نحوها بقلب المشوق المستهام المتيم .
لاسيما اذا تذكرت تلك الاوقات التي مضت في التمتع بمشاهدة
ذاته العلية الشان، وما مر له من حلاوة العيش في غضون تلك
الليالي التي خطفناها من ايدي الزمان .
. وكانت بالعراق لنا ليال . خطفناها من ايدي الزمان .
. جعلناها من تاريخ الليالي . وعنوان المسرة والامان .
ولعمري هذه الليالي هي المعنية بقول الشاعر
. واها لها من ليال هل تعود كما . كانت واي ليال عاد ما ضيرها .
. لم انسها مذ نأت عني بها جنبا . واي انس من الايام ينسيرها .
وبينما العبد يتجرع غصص الفراق بعد بعد جنابه ويتمنى القرب
الى الاوطان ويتنشد تشوقا الى احبابه
. يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر . فان قلبي بنار الشوق يستعر .
. بعدتم فلا والله بعدتم . مالذ للعين نوم ولا سهر .
. اذا تذكرت اوقات نأيتم . بقربكم كانت الاهنا انتظر .
. كانني لم اكن بالنير بين ضحى . والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر .
. والورق تنشد والاغصان راقصة . والدوح يطرب بالتصفيق والزمر .
. والسفح اين عشايا التي ذهبت . لي فيه فرحي لو ري عندي الغمر .
. سقاك يا سفح دمع منهملا . وفل زالك ان اعوز المطر .
اذ الفي عليه من حضرته قاضي العساكر المنصورة كتاب كريمه بتبديل
قصاده بقضاء اسنا وابريمه فانشد عند ذلك شعر

رب

. رب يوم بكيت منه فلما . صرت في غيره بكيت عليه .
واشتد به حينئذ التذكار والحنين الى الاوطان وتضاعف ما عنده
من الشوق الى الاحباب والاخوان وتمثل بقول القائل
. من السعادة ان لا تبعد الداره وان يطول عليل الشوق تذكاره .
. لين المنازل بالجرعاء دانية . مناوذان الذي نرعى جاره .
ثم ارسل العبد الى مولانا قاضي القضاة لا برح مرفوع الجناب، ليرتب
المقدمات في تبديل منصب بمنصب قريب من الاحباب لا زالت سواكن
الاعمال تتحرك بعبوده صلاته، جازمة بحصول روابع احسانه وهباته
وكتبت رسائل الاشواق الى حضرته العبد هو اودعت في صدر الورق الغيد
. ما مصر بعدك منزلا يستطيب . يا مطلبا مالي سواه مطلب .
. اضحى لها من بعد انسك وحشة . ولقد عدلها من فراقك غيهب .
. ورياضها حلفت بميناتها . صدقات فيض دماكم لا تكذب .
. قد زال رونقها وكانت اضحا . من بعدها تبك النضارة تجدب .
. والنيل قد عدم الوفا وبعدكم . قد غاض منه الماء ولم يك يعذب .
. يا فاضلا فاق الموالي علمه . وكماله فهو الطراز المذهب .
. ماذا يقول الفاضلون وانهم . في مدحه دانكم الشريفة اطنبوا .
. تتنافس الامصار فيك فانت كا . لغيث الذي ان حل ارضا تخصبوا .
. سعدت بروضة فيكم فلذا غدت . تزهو على كل البلاد وتعجب .
. كنت النظام لمصرا ما بعدكم . فلها وعمرك حاله لا تنجب .
. فلكم عمرت جوامعا ومساجدا . فيها وقد كانت تزول وتخرب .
. وسلكت فيها مسلكا بالعدل لم . يسلكه قبلك في القضا من مذهب .

وسلكت فيها مسلكا بالعدل لم يسلكه قبلك في القضا مذهب
وازلت فيها المنكرات بهمة مقرونة بعناية لا تغلب
لا تخشى في الله لومة لائم ابدا وتخشى بالاله وترهب
لم انس في مصر العفيفة كرزا لما الخريف جرى بمجرى يسكب
لولا الزيادة في الذلولة كا والخر للبحر المعظم يغلب
قد شب اهلوك حالة جربه فيه بما يحكيه شر يعرب
مازالت الفتنى نجم رماها وتمارى عن علمكم لا يغرب
واصابع المقياس كم فرعاينت منك الايادي فضلها لا يحجب
لم انس فيه لذة العيش الذي مرت حلاوته وزال الاطيب
حب الصفا واف ومجلس انسنا صاف وحبك الوقت وقت طيب
والفلك تجري في جوانب روضة طورا تجلى بنا وطورا تذهب
فكانما هي جنة من تحتها الانهار تجري في الرياض وتكب
والله والله العظيم وحق من صانت جوارحه الشريفة يزهب
ما الذي من بعدكم عيش ولا قلبي يسر ولا لصفا لي مشرب
ما يذكر المملوك ساعة بينكم الا ويرسل دمعه ينسكب
قد كنت من الم الفراق محاذرا في كل وقت خائفا ارقب
حتى سقاني الدهر من الم النوى كاسا مذاق الصبر منه اطيب
ماذا ولا هذا عجيب انما هالي غدا من كل ذلك اعجب
خلفتموني في الديار مضيعا صب على فقد الاحبة اندب
فكانني في موقف الاعراف لا انا بالمسلم ولا المصاب
قد صرت لا من هؤلا ولا هولا اني لاخشى ان اقول مذبذب

لولا

لولا رجائي ان ايام النوى كسحاب صيف عن قريب تذهب
لقضيت من الم الفراق وعانيت عنايا ان الروح لي تسلب
باجيرة مالي سواهم مطلب كلا ولا لي عن حماهم مهرب
عطفا على من بات فاقد الفه وله بقية مهجة تتقلب
اني وان بعدت ديار ي عنكم لا بد ان يفي الزمان فاؤب
فعليك مني الف الف تحية ولك الدعا مكرر ومرتب
لازلت في افق المعالي طالعا وشموس فضلك في العلا لا تغرب
ولحى انسك رائقا في بهجة وسماء العلا عندك ثوب
ما دمت في حسن ابتدامة بجلكم اشدو وفي حسن الختام اسبب
وشفعت ذلك بقصيدة تقاضي العساكر المنصورة لازالت الوية
تفضل على العلماء منشورة
يقبل ارضا للجباه مساجد سوا فخرا للسائلين مقاصد
يحب لكم من شكره قد تعلمت هضابا بان تثنى عليك المحامد
ولكن له شوق تزايد هذه ونار جوى من دونها تتصاعد
ونازع حظ قاعس عن قلا بكابده في دهره ويكابده
وقد قذفته واستطالت يد النوى واقعده دهر خصيم معانده
وقد صار في اقصى الصعيد ديارة وما زال للاحباب عنه يباعد
وليس لديه انيس مذاكر بعلم وتنسى في سماه الفوائد
ويفتر فيها ثغره ونظامه لهذا اتاكم شعره وهو بارد
مخاطبه بالاغضا عن السوا يكرر دعوات لكم وهو ساجد
وطال اغترابي عن حمى قد عهدته وقد عمرت بالفضل فيه المحامد

بلاد بها نبطت على نمائمى ٭ وفارقنى فيها وليد ووالده
٭ وقد حال هذا الفضل بينى وبينهم ٭ فهل صلة من نحوكم وعوائده
٭ وما اخترت ان اهدى وقبضى لبابكم ٭ وعلمى به فى سوقكم وهو كاسده
٭ الا فى نظر الفطنة باقل ٭ وانك باقس الفصاحة ناقده
٭ ولكن دهرا الجانى صروفه ٭ ونقصان حظى قد بدا بقاعده
٭ وما اعجب ان ذا الدهر طبعه ٭ يعاكس ارباب العلا ويعانده
٭ ويحبنى مولاى انى منهم ٭ لذاك غدا فى روم نقصى يراود
٭ وليس على التحقيق منه منصف ٭ ولا لى فى التخليص منه مساعد
٭ سوى حضرة المولى الذى فاق من مضى ٭ اقر بهذا خصمه والمعاند
٭ واجمع اهل العصر ان علومه ٭ لمفردة فى جمعها وهو واحد
٭ واغنى به مولاى قاضى عسكر ٭ اخا الفضل بل للعلم اصل ووالد
٭ وليس يزيد المرء قدرا ورفعة ٭ اطالة وصاف وفيه شواهد
٭ فلا زلت لذا للعلوم ومصدرا ٭ وطابت لاهل العلم منك الموارد
٭ ودم ابدا فى رفعة وسيادة ٭ مدى الدهر ما دام السهى والفرقد

ثم راسلت الرسول وانا مستشرف استشراف الطالب ٭ ومتشوف لتشوف الطامع الراغب ٭ فعلمت بانى بسلطان مبين ٭ وبرجوم من سباء بناء يقين ٭ فلما كان بتاريخ اوائل ذى القعده سنة ثمانين وثمانمائه ورد الخبر بان الصدقات الكريمة السلطانيه ٭ انعمت على الفقير بتبديل قضائه بقضاء القدوس المحيه ٭ فسررت بهذا البدل حيث تضمن عطف الجوار ٭ وحمدت الله تعالى على قرب الديار ٭ ثم توجهت الى القاهرة المعمورة فاقمت بها فى اواسط الشهر المذكور ٭

ودخلتها

ودخلتها دخول مستوحش لفراق ما كنت اعهده فى زمن مولانا ٭ وولى نعمتنا جوى زاده افندى من الانس فيها ٭ وتذكرت تلك الليالى المضيئة فى خدمته التى لا يرجى عود ماضيها ٭ ثم قصدت السلام على قاضى قضاتها ٭ وحاكم شرعها بين عينى حياتها ٭ وهو اذ ذاك فخر الموالى المعتبرين ٭ وصدر الافاضل المتبحرين ٭ مدرس افندى السرچ بناظر زاده ٭ ادام الله تعالى فضله وزاد اسعاده ٭ وقد كنت الفت فى تلك الديار منزل لمولانا المشار اليه اولا ٭ ادام الله تعالى له الانعام ٭ فلما دخلتها وما اهلتها الا هى التى كنت اعهدها اشد ما تكون اهلا فى الخيام ٭ ثم اقمت فى البلد المذكوره ٭ الى تمام السنة المذبوره ٭ انتظر قافلة تسافر الى تلك الديار ٭ لاعزم معها على السياره ٭ فلم يتفق فى تلك الايام سفر قافله اصلا ٭ وكان توجهى بالسرعة الى القضا امرا بها لا يحتمل تراخيا ومهلا ٭ فمن لى اسافر الى تلك الديار بحرا ٭ وكنت اقدم للسفر رجلا واواخر اخرى ٭ اذ تذكرت قول القائل المشهور ٭ اجيت وكان عندى من مراكبه نفور ٭ وان نيمت بالابه الكريمة اقدمت وسالت الله بسير الامور ٭ فعند ذلك قدمت مقدمات الاستخاره ٭ واستخرت الله تعالى الذى ما خاب من استخاره ٭ فشرح الله للسفر فى البحر صدرى ٭ وسالته عند ذلك تيسير امرى ٭ وتوجهت من القاهرة المحميه فى اوائل المحرم الحرام ٭ واتيت الى محميه دمياط واقمت بها لانتظار سفر المراكب عشره ايام ٭ وعندى الى الاحباب من شدة الشوق ما يمنعنى من القراره ٭ ثم اقتحمت من فوط الاسواق لجج البحار ٭ مع انى كنت اهاب البحر ٭ واستهول ان اركب لجه ٭ واصعد فى امواجه العالية درجه ٭

وركبت في سفن المحبة يسيرها هو الشوق المعطر بنسيم سداها ولوعة
متيمنا بسم الله مجراها ومرساها، وسرنا بنية خالصة وعزم صحيح ونرضى
نرضى من الايام بالريح، فلما كان عشري المحرم الحرام اشرفنا على مرابس
المحبة فاعلنا بحمد الله سبحانه وشكره، وتلونا ان بدا ايكن الريح
فيظللن رواكد على ظهره، ودخلنا البلدة المذكورة ونشوقنا لها بازدياد
فوجدناها بلدة لم يخلق مثلها في البلاد، والفيناها سكونة ظرفا
ولطفا، ونظرنا من محاسنها ما يعجز عن حصره اللسان ولا يستطيل وصفا
ولا يستطيل وصفا، وجمعنا هذا المطاف خاما، واقمنا بها يومين
بل اياما، وكنت حال دخولي الى البلدة المذكورة متشوقا الى من يأتي
عن احوال الديار، وملتفتا الى من ينبئني باخبار تتضمن المسار
متمثلا بقول القائل

• الا هل شجي مني كتيب ارسله يسائلني عن بعض ما اتحمله •
فانفق ان صادفت بها فخر الاحباب والادباء وقدوة اهل الدخول
والنجباء سيدي محمد بن الفرا الدمشقي وكان اتى صحبة الوالد من جهة
الى القدموس واقام معه بها من الزمان بضعة، واتى اطرابس المحبة يتفقد
السير والنزهة، فاستخبرته عن الاحوال، وسالته عنها بالتفصيل
والاجمال، فكان بخير سلامة الاحباب فعم سرور وبشر، ووجدت عنده
من كل شيء خبرا، ولا ينبئك مثل خبير، فحل ما عندي من سواكن
الاشواق، وكادت عوامل المحبة تجذبني الى نحو الديار بالاطواق،
ثم فارقت البلدة المذكورة في عاشر صفر الخير ولت لها فالبال
ورحلت عنها الا رغبا عنها ولا سالبا، ولكن لما قيل سئم

• اذا دنت المنازل زاد شوقي • ولا سيما اذا دنت الخيام •
• فلله العين دون الحي شهر • ورجع الطرف دون الشهر عام •
وعندي من الشوق الى الوالد والولد ما لا تحويه السطور فانه قد طال
مني هذا الاغتراب، وصب علي النوى من اليم هذا الفراق سوط عذابه
وقذفني بيد البعد عنهم منذ نيف سنين، ولن ابرح الارض حتى
يحكم الله بالاجتماع وهو خير الحاكمين •

• وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا •
فنحمد الله تعالى شكرا، ونحمده على هذه النعمة الكبرى، ثم ان
سيدي محمد المذكور تخلف بعد الفقير في اطرابس المحبة لقضاء اوطار
من النزه والسير، ووعدان يجي الينا بعد عشرة ايام لا غير •
فمضى له اربعون وهو مقيم في البلدة المذكورة مستغرق في السير
والحبور، فكتبت له المبادرة بالمجيء مكانه وجهز قربا مع رسول وضمنها
اشياء من مصطلح اهل الدخول، واخترعت احرفا لي الاستخدام
في لفظ النوى على وجه ينكره الاصلاح واوقفته فيه على تسمية
النوع احسن ايقاظ • صـ ـو ـب •
• يا من سما في سما اللطف فوق سما • ك الافق محى ذوي الالباب بالذكر •
• نقل مقامك ايقاعا على رسل • وان تنادي اجانبي على جنب •
ينهى سلاما لا يحد، وثناء لا يعده ويشرح ما عنده من الشوق الذي
يعجز عن حصره الطوق، ويشكو من نوائب النذل بشره سمع اهل الدوق
ويستخدم في ابلاغ سلامه الكم نسيم الصبا، وكلما سار ركب من
العشاق هام قلبه اليكم وصبا، ولا يذكرانكم في كل مقام وان

وان سكن ما عنده من الشوق تحركه عوامل الغرام، والله قدره للخلق
على هذا النوى، وبيننا وبينك موعد لن تخلفه نحن ولا انت مكانا
سوى، ولم تزل نعلل النفس بعدكم من حين الى حين، ولا نخالكم
ان مدة الموعد كانت عشر وقد جاوزت الان هذا الاربعين، وقد
ارسل الفقير اليكم هاديا ليكون لكم كالرفيق، وعينه ليجئ في خدمتكم
وعينه نحو الطريق، فانعم يا مولاي بالبداره فان ساعات السرور قصار
والندم في المبدا والختام، ثم ان الشام راسه قدم علينا بعد اياما
وهو ينشد في هذا المقام،

• كتبت الى ترغب في حضوري، ورب الفضل دعوته تجاب •
• فقبلت الكتاب وقلت طوعا، لامرك سيدي وانا الجواب •

ثم عرضت عوارض اقتضت اقامة الفقير في القصاب بعض ايام، وعدت
الى حماة ما لا يحصى من الشوق والغرام، فان الفقير لم يبن عنها
هذه البينونة الكبرى، ولم يفارقها هذا الفراق، ولم يطلقها
ثلاثة اعوام الا هذا الطلاق، ثم اني اقمت في القدموس سنة ولبثت
حماة بعد ان مضى ما يزيد على ثلاث سنين في العدة، ودخلتها
في سنة احدى وثمانين في غرة ربيع الثاني، وطربت عند الخلوة
ولا كطرب المثاني، وقرت العين مني برواية حماة واحبابه، وجمع
شملي باخواني واصحابي، وحمدت الله تعالى على طول الاعمار
والتردد الى الاقطار، وطويت شقة البين والقيت عصا التسيار،
والقت عصاها واستقر بها النوى كما قرعينا بالاياب المسافره
واقمت في المحروسة المذكوره بعض ايام، وانا بفرط الاشواق الى الاحبة

بدمشق الشام

• وان امرأ في بلدة نصف قلبه، ونصف بأخرى انه لصبور •

وكنت في ذلك الحال، امثل بقول من قال،

اأحبابنا والله ما غبتم عنكم، سوى ان سمعي والمدامع مدرار
ووالله ما اخترت الفراق وانما، برغمي ولي من ذلك الامر اعذار
اذا شام برق الشام طرفي ترافقت، سحائب جفني والفؤاد به نار
الا ليت شعري هل يعود لنا الهوى، جميعا وتحوينا ربوع وافطار
ثم غلبني الشوق، وكاد يجذبني الى احبابها بالطوق، ولله در القائل
لي نحو ربعك دائما بأجلق، شوق اكاد به جوى اتمزق
اشتاق منك منازلا لم تسترح، الى وقلبي في ربوعك موثق
وقف عليك لذا الاسف والبكا، قلبي الاسير ودمع عيني المطلق
او شق لا بعد دبارك عن فتى، ابدا اليك فؤاده يتشوق
انفقت في نادبك ايام الصبى، حبا وذاك اعز شيء ينفق
ورحلت عنك ولي اليك تلفت، ولكل جمع صدعة وتفرق
فاعضت عن انسي بظلك وحشة، مرعى وهي جلدي وشاب المفرق
فلبست ثوب الشيب ولهو... ونزعت ثوب الشرخ وهو معتق
ولكم اسكن عنك قلبا طاعما، بوعود قربك وهو شوقا يخفق
ولكم احدث عنك من لا قيته، وجميع من سمع الحديث يصدق
فتوجهت البرا ودخلتها في ثاني عشري ربيع الآخره وقرت العين
برواية احبابها كما قرعينا بالاياب المسافره ودخلتها وانا مشوق
البرا، ولا تشوف المحب الى لقا المحبوب، واقمت بها اياما لا يمينا

شبكة الألوكة www.alukah.net

فرط نصب ولا بمسنا فيها لغوب، وحمدنا الله تعالى أن اعدنا دار الرفعة
واذهب عنا الحزن، وجمع شملنا بهم كروحين في بدن، واعتنا مقبلة
الاحوان ايام، وقضينا في خدمتهم ليالي ما كانت الا احلاما، مرت
لناسهم بلذيذ المصاحبة والمسامرة، ولم يكن عيبها الا انها مقاصرة،
ان الليالي للانام مناهل، تطوى وتنشر وفرط الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة، وطوالهن مع السرور قصار،
ووقفتهم على ما كتبته من رحلتي صحبة قاضي القضاة جوى زاده ذي
الى القاهرة المحبة، وما اودعته فيها من الالفاظ البافلية فصادفت
في سوق فصاحتهم نفاقا وسعرا، وشرفوها من انها لم تبق فيها
نقل ونثرا يسكت ان شاء الله تعالى تلك التقاريض مع ما كتبته
لبعضها من الجواب في اواخر الرحلة اذا آلت الى التمام ليكون ذلك
اخر ما يعيه السمع منها ويحسن الختام، ثم اني اقمت بدمشق
اياما اديت فيها واجب الصلة، واقتضى الحال التوجه للقضا لننظر
المصالح بالحجة، وصرت لعنان العزم الى جهة القضا ثانيا، وانيت
الى خدمته لامتاهلا ولا متوانيا، واستربت افصل الاحكام
الشرعية على الوجه السديد المحكم الى خامس شهر شعبان المكرم وكنا
في اوائل شهر ربيع الاول لما ورد الخبر بان مولانا فخر الموالي النجبين
محي الدين افندي معاول زاده، ادام الله تعالى فضله وزاد اسعاده
تولى قضا العسكر المنصور، حصل لنا غاية الفرح والسرور واندنا
ورد السرور بما اقر الاعيا، وشفى النفوس فتلت غايات المنى
ونفاسم الناس المسرة بينهم، قسما فكان اجدهم قسما انا

وكن

وكنا ندعو الله تعالى بذلك انا، الليل واطراف النهار لما لنا من
سابق المعرفة والعبودية مع جنابه لازال عالي المنار فان قاضي
العسكر السابق لم يكن له معرفة بهذا العبد الفقير بل كان حاله
عنده في مقام التنكير واما مولانا حفظ الله تعالى جنابه الشريفا
فالعبد عنده في مرتبة الضمائر من مراتب التعريف خصوصا وقد
كان اخر اجتماعه في طريق مصر بخدمة العلية صحبة مولانا جوى
زاده افندي في ذلك المجلس الخاص الذي ذكرناه في اوايل الرحلة
المصرية وكان العبد يرقى في زمنه الترقي الى اسنى المراتب ولم
في اعلا المناصب، فلما سمعت بتوليته قلت لنفسي ها ليلك فاقره
وفجرك قد اسفر، وكتبت بعد ايام عبودية الى رفيع جنابه،
وارسلت مجرده مع بعض خواص اصحابه اسال من تفضلاته
تبديل منصبي بمنصب هو خير منه كما هو المامول من كرمه حفظه الله
تعالى من كل سوء وضيره، وكنت مترقبا لما يرد علي من احسانه حفظه
ادام الله تعالى فضائله، وكان بقي لنا من المدة العرفية قريب من
سنة كاملة، فلما كان خامس شعبان المذكور ورد الخبر انه من غير
بدل وجه المنصب الفقير لرجل جاهل، ومن علا الفضل والنبل
عاطل، فكنت كما قيل

رفعت اليه اشتكي الجزم في الهوى، واعربت عن نصبي فوفى الخفض
واضحيت منه خائف الامال، وصار حالي كحال ابي الى قال،
ان الغراب وكان يمشي مشية، فيما مضى من سالف الاجيال
حد الغطاة فراح يمشي مشيها، فاصابه ضرب من العقل

فاضل شيئ واخطاشيه ، فذاك كنيته ابو المرفال ،
فتحى من هذا الفعل غاية العجب حيث لم يكن لذلك اصل ولا سبب
وصرت من هذا الامر انجب ، ثم حملته على نظائره من تلقى المخاطب
بغير ما يترقب ، وقضية الحجاج مع القبعثرى قضية تستهوره ، وعند
اهل البلاغة معروفة وغير منكورة فحينئذ كنت فى ذلك المدعا
كالباحث عن حتفه بظلفه ، والقاطو مارن انفه بكفه ، وظهر لى انى
اصبت نفسى بسهمى ، وبدائى اوهنت عظمى ، وصار منى منزرى ودائى
وكان اذى على نفسى بعدائى -

، وكنت كالمتمنى ان يرى قمراه من السماء فلما ان راه عمى
فلما بدا لى منه ما رابنى علمت ان طبعه استحال وتذكرت قول من قال
، وكل ولاية لابد يوما ، مغيرة الصديق على الصديق ،
وتذكرت قولهم ارض من صاحبك اذا ولى ولاية بغروده قبرا
كما شاع ذلك فى الاقوال السائرة ، وعلمت ان وده صار كمودة من
حربت بيتا مرباجره ، ثم فارقت اهالى ذلك القضاء وهم راضون
منى كال الرضا ، ناسفوا على عزلى تاسفا كثيرا ، واجروا على فراقى
دمعا غزيرا فعند ذلك حمدت الله تعالى على السراء والضراء وقلت

سبحان الله بعد عسر يسرا ، وقلت مضمنا

، ان كان منصب حكمى زال فى زمنى ، فمنصب فضلى الدهر لم يزل
، وان خلانى من دونى فلا عجب ، لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل
ثم توجهت لتسليم ما كنت حميته من حال العوارض لحضرة الدفتردار
بدمشق الشام فاستبرأه فى اوائل شهر رمضان مما اتفق لى

فى

انى اجتمعت فى مجلس المحاسبجى بحضرة افندى القاضى يومئذ بحوران
فوقع فى المجلس هجمة ممضاة بامضاء الفقير فيها ما لفظه القاضى
بالقدموس المحيط ، فاستبعد القاضى المذكور دخول الالف واللام
على لفظ القدموس وانكر القضية ، وقال ان القدموس من الاعلام ،
وانه مما يمتنع ان يدخلها اللام ، فحققت انه فى المقام الابتدائى من
الانكار ، واجبت عن اعتراضاته بما ذكره علماء العربية على وجه
الاختصار ، مقتصرا على قدر الحاجة حذرا عن اللغو فى الكلام ،
واستغنيت عن تاكيد الحكم بمؤكدات حسب ما يقتضيه المقام ،
فكان امره اليه لم يقنع بما به اجيب ، وذكر هذه الواقعة لبعض
الافاضل زاعما انى مخطئ وانه مصيب ، فلما تحققت انه مصر على
انكار ما قلته صريحا وضمنا ، وانه وصل فى مقام الانكار الى مرتبة
النفى والاستثناء اقتضى الحال ان يخرج الكلام على مقتضى الظاهر
ويؤكد الحكم بما يسع الفكر الفاتر والذهن القاصر ، وكتبت
فى ساعة من تلك النهار رسالة مختصرة بديعة محررة ، باسمك
باسن تنزه فى فعله عن الاعتراض ، وتقدس عن المحل فى كل سفل
وحال وماض ، وتوحد بقدوس ذاته وصفاته عن الشبيه والنظير
وتعالى فى ملكه عن المعين والظهير ، صلى الله على سيدنا الفصيح من
نطق بالضاد ، وعلى اله واصحابه الابجاد ما طلب العامل معمولا ،
ورفع الفعل فاعلا ونصب مفعوله وقال صبرا انه قال ، وقد
القاموس رحمه الله تعالى ، وافاض عليه شآبيب مغفرة تسح
وتتوالى ، القدموس لعصفور الغدير ، والملك الضخم والعظيم ،

من الابل انثى اقول فعلى هذا يكون القدموس من الاعلام الغالبة لانه كان في الاصل لجنس القديم ثم كثر استعماله لهذه البلدة المخصوصة قبل العلمية مولام العهد ليفيد الاختصاص به وصار لكثرة الاستعمال علما كما لا يخفى على ذي الفهم السليم قال الرضي ويسمى هذا القسم من العلم العلم الاتفاقي فتكون اللام في مثله لازمة لانه لم يصر علما الا مع اللام فصار كبعض حروف ذلك العلم كالنجم والبيت والمدينة حيث ما غلب استعمالها على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فهي مشابهة لهاء تهة البوم للوس ومطابقة لها مطابقة الجن للجن وذكرت فيها اموراً اقتضى الشان ان تذكر لمثله المقام والحال رايت ان ذكرها هنا برمتها غير مناسب فان لكل مقام مقال فكانت الرسالة المذكورة دليلا قاطعا للكلام وحجة قائمة في اسكانه والزامه ثم اني اقمت في دمشق المحمية مدة وانا معزول وحدس في فكري التوجه الى استنبول فكنت بين اقدام واحجام وترددت في هذا الامر بعض ايام وشاورت مع الاصحاب رفع الله تعالى لهم قدراً فمنهم من مال الى التحذير ومنهم من مال الى الاغراء وبعضهم رغبني وصوب راي وسدده وبعضهم رهبني وانشده

ياس غدا في طلاب العلم مجتهداً لم يثنه عنه لاهال ولا ولد
ولا يتبسط لتقليد القضاء بداء ارتضى رتبة التقليد مجتهد

فقلت للدائم بواسطة هذا اللوم وسببه لابد للمرء من مال يعيش به (ثمة) وداخل القبر قد يحتاج للكفن) وانشدته

ياذا

ياذا الذي اصبح لي لائما انسيت ما قد مر في الماضي
ان الذي ساقك لي واغظاً هو الذي صيرني قاضي
والله ما احترت سوى وصله فاختار ان يعكس اغراضي
ان كنت لا ترضى بما قد قضى اني بما قدره راضي

على ان القضاة ليسوا سواء منهم من يأمر بالتقوى وينجنب عن الفحشاء وكل الرشاء ومنهم دون ذلك واقعون في مراعي المرعى لك نسأل الله تعالى ان يجنبنا عن هذا القبيل ويهدينا الى سواء السبيل واني بعناية الله تعالى ومنه الصمداني

وليت الحكم خمساً وهي حبس لعمري في الصبا والعنفواني
فما وضع الاعادي قدر شأني ولا قالوا فلان قد رشاني

وكان بعض الاصحاب يرغبني عن ذلك لخساسة الشركاء ويقول كم من جاهل نراه على هذا المطلب ضرهكاء وكان ينشدني فقلت المقام اذا وقع الذباب على طعام فكنت انشده

اذا شوركت في امر بدون فلا يحفك عار او فتور
ففي الحيوان بشرك اضطراراً ارسطاليس والكلب العقور

هذا ولما قدم العبد من المحمية القاهرة مجمو الله تعالى شمله باحبابه الموالي بدمشق اسبغ الله تعالى عليهم تفهم باطنه وظاهره عرض عليهم هذه الرحلة المكية كما تقدم الى ذلك اشارة اجمالية فنثروا عليها من غرر مدائحهم البديعة درراً ورقموا عليها وشيا يفحم البلغا وتحير الشعراء وحلوها من انشائهم بقلائد اضحت بها الطروس بزوراً محبرة وسما بالنجوم زاهرة ان لم ترض

ان تكون في الارض رياضا مزهره
من كل معنى يكاد المیت يفرحه حسا ويعشق القرطاس والقلما
واودعوها بليغ عبارات تقف الفصاحة عندها وتقف البلاغة
حدها، كانها اجليت من لين اعطاف او اجتنبت من قدود لغصن
فكانت تلك التقاريض لجيدها قلائد العقيان وصار الحسود من سحرها
الحلال مفحما كانهم بها قد عقدوا لسانه واصبح شوي عندهم بمكانه
وبالجمله فاني واستبضاعي العلم نحوهم كمستبضع تمرا الى ارض
خيبره وقد سبق منا الوعد ان نثبت تلك التقاريض اذ هذه
الرحله اذا اذن الله باتمامها ونوشحها بذلك ونجله حسن
خاتمها، تعين ان نوردها هنا لتكون لها موضع الاكليل ونكتسي
بها حسن التذييل والتكميل ممن ذلك ماكتبه مولانا فخر العلماء
المتبحرين، وعمدة الفضلاء المدققين الشيخ اسماعيل النابلسي
ان في ادام الله تعالى افضاله وبلغه اماله وامانيه وآماله، صورته
لبسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على تتابع الآلاء ونوالي نعمائه والصلوة
والسلام على سيدنا محمد افصح من نطق بكلام وعلى اله واصحابه
الكرام، وبعد فقد وقفت على هذه الرحلة التي تشد اليها الرحال
وكعبة الادب التي يتفيؤ عليها من البلاغة ظلال، ولحظت محاسن
هذا التصنيف واجلت النظر في لطائف هذا التاليف، ورقت
في رياض اداب العلية، وتاملت ما اشتملت عليه من المعاني
الادبية، ووردت حياض مناهل اداب الصافية، وارتديت
باردية لطائف الضافية، وارتشفت من شمول اداب، وعطفت

عليه

عليه ولا عطف المحب الوامق الى لقاء احبابه، ولاحظت فصاحة
بعين الانصاف، واستملت ما اشتمل عليه من محاسن الاوصاف
فرايت سحرا بلاغة عقد كل لسان كل حسود، وبحر فصاحة
قذف في نثر براعته جواهر كلم ازرت بكواكب السعود، وشاهدت
لسان القلم وان كان ذا لسانين، قد الهم الصواب
فنطق بفضله، وصفحات الاوراق وان كانت ذاوجهين، قد
اذعنت بكماله وصحة نقله، فقلت سبحان من يرزق من يشاء
بغير حساب، ماهذه والله فضيلة تنال باكتساب، فلله در
ناظم عقوده وموشي وموشع برده، لقد ملاء الاوراق
بما عذب وراق، وارى من ايات الافاق ما تفرد به وفاق
واوجز فاعجز اذ انبت زهوا في اوراق كتاب، وابدى لآلي
مكنونة تكونت من الفاظ عذاب، وجرى على نهج البلاغة وجمع
اشتات الفضائل، واذعن له بالتقديم على ابناء العصر من كل
كامل وفاضل، فاناب امرولا مشكل، ونادبت الابيا للحب غيره

محب الدين قد انشات نثرا ونظما اشبها درا ثمينا
وقد اكمدت حسادا واعدا وقد صيرت قلب المادحينا
حلفت بما سخت من الايادي يمينا لن تحيد ولن تمينا
لانت اليوم افصح من نراه ومفرد وقته علما ودينا
فمالك في الفصاحة من عديل واعجزهم واعجزهم بيانا
اصوغ لك سلاسل الثناء تترصعها ام الدر المصونا
بيانك في البديعة معان تشابه رقة ماء معينا

بجواهر البلاغة اى ترصيع وقلائد العقيان التى انتظمت فى
سلكها الدرر الفاخره، والفرائد الحسان التى استخرجها مولانا
من بحار فكره الزاخره، وطرائف الادب التى لم ينسج على منوالها
ونوابغ الحكم والامثال التى لم يات احد بمثالها، وتامكنها فاذا
هى سماء الفضائل الحاوية لمطالع البدور، ومنازل السرور ورياض
الاداب المشتمله على حدائق الورود ونفائس الزهور واستجلبت
نفائس عرائس معانيها فوجدتها ابكارا عربا، واستملت
نفائس مبانيها فالفيتها تستميل القلوب طربا، واجدت طرفى
فى ميادين رياضها الناضره، وردت طرفى فيرجعا اولا
سطورها المسلسله فى طروسها الزاهره، فرايتها اخذت من
كل حسن زخرفها، وتفننت افنانها ببديع زهر الفنون فيما الطفها
فيا لها من معارف رياض ظل المعارف فى رجائها وارف وظل
اللطائف على قبابها واكف، وانوار البلاغة بازغة من كمامها
وحور الفصاحة مقصورات فى خيامها، وكيف لا ومنشيها امام
المعانى واحد فى بيانه بديع المبانى مفرد فى زمانه، وموشيها
جرى فى ميادين البلاغة طرفه، فحاز قداح السبق يوم رهانه
وقد ضمنها مدح من تفرد بجموع الاوصاف الحميده، وسبرة من
(تفرد) توحد بين اقرانه بكثره المزايا الفريده، من العقد
الاجماع على شرفه وعلمه وفضله، وقامات البراهين على دينه
وحلمه وعدله،

فليس عجبا ان يفوق مديحه، على كل نظام بجوهر الفرده

. وكم اوضحت فى النفير صعبا، وكم سهلت حزنا لن يهونا .
. فدم يا سيد الفضلا اكرما، وعش عونا لهم ابدا معينا .
. مدى الايام ما هبت شمال، وما ابدت مطوقة حنينا .

والله المسؤل ان يبلغ منشيها غاية السؤل وان يجعل الوجود
بمحاسنه الباهره، وان يجعله بين خيرى الدنيا والاخره امين
يا رب العالمين قاله وكتبه المذنب المسى اسماعيل بن احمد
النابلسى الحنفى المعروف بابن النابلسى لطف الله تعالى به، وجعله
من حزبه بمحمد واله واصحابه وتابعيه واحبابه، فى اواسط
جمادى الاخره من شهور سنة احدى وثمانين وتسعمائة من
الله تعالى خاتمها، وقد بالخير تمامها، [illegible] ماكتبه
مولانا عمدة المدققين، وخلاصة المحققين الشيخ عماد الدين
الحنفى عامله الله تعالى بلطفه الخفى [illegible] الحمد لله الذى
عم عامة عباده بسوابغ النعم، وخص خاصتهم بما منحه
من نوابغ الحكم، والصلاة والسلام على من بلغ البلغ الكلام بافصح
لسان فاحسن بلاغه، وبلغ فى دقائق العربيه غاية الارتفاع
فاعرب بديع منطقه عن دلائل الاعجاز واسرار البلاغة،
وعلى اله الناهجين مناهج خطابه، واصحابه المنادبين بادابه
وعلى التابعين لهم باحسان المقتدين باقوالهم وافعالهم
فى كل زمان، وبعد فقد وقفت على هذه الرحله التى برحل
اليها، واساس البلاغة التى بنيت دلائل الاعجاز عليها
والحكم الجامعه لكل اسلوب حكيم بديع، والعقود المرصعه

بجواهر

• فمدوحه فرد المحاسن جامع لما ... حاني عديم المثل واسطة العقد •
فيالله من اديب ان نظم فقلنا في صناعة القريض فصاغ ابرزه احسن
صياغه وملك زمام العربية فانقادت له في مبادين الادب وفرسان
البلاغة • ونثر فدانت له صعاب الكلام واضحت طوع امره وتمنت
الكواكب السيارة ان تكون من الثوابت في سماء نثره فالله تعالى
يديمه لاهل الادب فخراء ويجازيه على مدحه لاهل العلم بمنح الدنيا
والاخرى بمنه وكرمه • قال ذلك وكتبه محمد بن محمد عماد الدين
الحنفي حامدا لله تعالى مصليا على نبيه مسلما وذلك في اوائل جمادى
الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة • ومن ذيل ما كتبه
مولانا فخر المحققين وعمدة المدققين الشيخ شمس الدين
ابن المنفار الحنفي • عامله الله تعالى بمنه الوفي •

• اهذه الخود تجلى في معاينها • ام السماء بدت فيها دراريها
• ام روضة ضحكت انوارها سحرا • مذ بات طرف عواري المزن يبكيها
• ام جنة الخلد اذكى النفوس بها • والكوثر العذب يسقيه جواريها
• ام بنت فكر غدت بالحظ تعجزنا • ونحن من حسنها الفتان نرقبها
• جرت على ادبا العصر فاطبة • ذيل الترفع من اعجاب بنيها
• نادمتها فشهدت الحسن اجمعه • فيها وكم درلفظ حل في فيها
• ورحت اشرب ماهانات اسطرها • كاس المعنى التي قد اشرب فيها
• كانها وجنة المحبوب حل بها • سطر من المسك سار في حواشيها
• او نقش معصم خود زان اخذه • بياضها وبداحليا يحليها
• او العقود التي قد رصعت بلآ • لئ اليواقيت تزهو في لآليها

او

• او الحدائق والاثمار يانعة • بها وحلو الجنى المرجا نيها •
• لن يستطيع بليغ ان يعارضها • ولا امام المعاني ان يدانيها •
• دانت لها العرب العربا قاطبة • اقر بالعجز راثيها وقاصيها •
• يهيم كل لبيب من بدائعها • وكل ما ذاق معناها يعنيها •
• فتنت يا رحلة الاداب كل فتى • يهوى بديع المعاني ازيعانيها •
• لله در نجيب الدين سيدنا • احلى المعاني في مغانيها •
• كم رصع الدر في ابياتها شرفا • وحل خالص برفي مبانيها •
• فلفظها الزهر مفتر مباسمه • والجوهر الفرد جزء من معانيها •
• زهر معالمها حور طوالعها • عن مقاطعها صعب مراميها •
• بنى قصورا لاهل الفضل عالية • من انشا فخلوا في اعاليها •
• لا بدع ان اطنبت في وصفها • وكيف لا والمحب المحض يابيها •
• سارت اليد المعاني وهي خاضعة • لما تفرد في اعلى مراقيها •
• لا زال يرفل في اثواب سوددة • مواالاحبة في سفني تلافيها •
• ما مال نحو محب حبه وبدت • نشدو الحمائم في اعلى اغانيها •

قال ذلك وكتبه افقر الورى محمد بن القاسم ابن المنفار الحنفي عفا
الله تعالى حامدا ومصليا ومسلما وذلك في العشر الاول من
جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة • فمن الله على هذه
الحلبة الذين جمع الله بهم شتات الادب • ولم بهم شعث ابنائه ذوي
التحصيل لم في التحصيل والادب • ورفع الله فوق كل ذي محل محلهم
وعقد بائتلاف ذات بينهم عقدهم وحلهم • وكثر في الوجود
مثلهم وان كنت لا اعرف مثلهم • ولا افض فوهم من هذا السجع

شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي اضحى سواجع الحمام من حسن اسجاعه ناسية الهدل والسواجع
رقت حواشيه الحسنة التجنيس والتذبيل .
فذا السجع سجع ليس في السجع مثله وهذا جناس ليس يحسنه الشعر .
فمتع العبد طرفه بتلك الطرف والتحف بظل هاتيك الهدايا والتحف
ودخل جنات سطورها فراى منها غرفا مبنية من فوقها غرف . ولم
يدر باي عبارة وبارعة يمدح هذه الفضائل . ولم يعلم باي بلاغة
ولسان تذكر هذه الفواضل . واني لم ببيان ينبي عن وصفها البديع
المثال . او فصاحة يوب عن رفيع محلها البعيد المنال .
. وفي تعب من يحد الشمس نورها . ويزعم ان باني لها بضريب .
ولكن قد قيل انه لو لزم في كل الاحوال تناسب المخاطبة . وكان جواب
السائل يجب ما بين المتكلمين من المناسبة . لما رضي سجع الحمام مطارحة
نوعا من الاطيار . ولا قنع غمر هواجب الاحبة برد القلوب الهائمة
في اودية (القلوب) الافكار . فعند ذلك جرت النفس على ما الفته
مع مولانا شمس الدين المشار اليه حفظ الله تعالى ذاته السعيدة
من كتبه جواب عما يرسله لهذا الفقير من كل قضية . فكتبت هذا
الجواب عن تقريضه جريا على تلك السجية المالوفة . ونسجا على تلك
العادة المعهودة المعروفة .

. جاءت مخدرة تسحب ذيولها . تميس عجبا وقد رقت حواشيها .
. عذراء مقصورة عزت فصاحتها . عن ان تكون لها الفوا كفيها .
. ازرت بقس وسحبان بدونتها . وكل كل لسان مادح فيها .
. ما راقني كاس معنى من فوادرها . الا واسكرني معنى هوافيها .

وكلما

. وكلما سرني سمعي سرورها . يجلو لقلبي زلالا برد صافيها .
. ما ان رايت وبيضا لا ولا سمعت . اذني بالطف معنى من معانيها .
. وكنت اسمو بالسحر الحلال وما . اظنه غير ما ضمت قوافيها .
. ما هذه كلم في اللفظ بل درر . من قال تلك كلام لست ادريها .
. فقل لمن رام جهلا ان يقايسها . بغيرها منه ظلما او يباريها .
. ما كل من قال شعرا شاع ذكره . شواهد من معاني القول تكفيها .
. وكيف لا وفصيح العصر سيدنا . فخر الافاضل شمس الدين مبنيها .
. انت اليه القوافي وهي طيعة . زمامها وله قد طاع عاصيها .
. والنظم اضحى كانفاس يردها . بلا تكلف افكار يعانيها .
. في كل آن علينا من معارفه . شموس فضل وافضال يجليها .
. وكم عرائس افكار له برزت . بحسن افكاره الغرا يجليها .
. يا واحد الدهر والمولى الذي نبهت . الفاظه الغرر اللاتي توشيها .
. بالله قل لي وهذا القول ملتمس . ماذا اللالي التي في النظم تبديها .
. اهذه درر اضحت مرصعة . في جبهة الدهر ام حور تناجيها .
. والجرم ام بدور في مشارقها . او هذه الشمس قد لاحت رائيها .
. استغفر الله ما اني مشبهها . بما ذكرت من الاشياء تشبيها .
. اني يكون لساني في فمدحها . كلا ومن ابن لي شكر يوافيها .
. يا فاضل العصر يا من نوره . ما زال يهدي لاسماعي امانيها .
. لا فض فوك ومات حاسدوك فقد . زالت سجاياك مشكورا مساعيها .
. ولا برحت اماما راقيا ابدا . من السيادة في اعلى مراقيها .
. ما شببت نسمات الروح في سحر . وما حدا العيس والرظمان حاديها .

شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا آخر ما كتبته من نوادر الاخبار من مبتدا الاسفار واغربت
عنه من الاحوال على وجه الاختصار. واما بيان الاحوال المطولة
فلا يسعها هذا المختصر. فانا قصرنا هذا الانشا على الايجاز والقصر
شروع في السفر. وقد آن للقلم ان يخلع ما اسود من برده
ويرفع راسه من ركوعه وسجوده. والعبد يسال من كل واقف على شفير
الرحلة من اساده الافاضل وناظر اليه من العلماء الاكمل الا ما سئل
ان يبسط العذر في فرهة الفاظها الباقية. وفيض اللطف عن ركاكة
عباراتها الظاهرة. ويستحضر قول القائل

• لئن ابصرت في نظمي فتورا ووهنا او قصورا في المعاني
• فلا تنسب لنقصي ان رقصي • على قدر تنشط الزمان

على انها بسعادة الله تعالى صدرت عن صدر مروع بشوك الرهبة
وقلب موجع صب عليه البين من اليم فراقهم سوط عذاب
وشتات عن فطنة خامدة. وفكرة كليلة جامدة. وحسبك ناقبر
وما القلب يبدي بالهموم فضيحة. ولا الشمس تبدو اذ يحول غمام
وعلى كل حال فما اكل زند ابو لهب. ولا اكل موزون هو الذهب
ولا اكل كاتب ... ولا نه في فنه قلم. ولا اكل متكلم عن البيان
..... كانه علم

• ما اكل من خط في طرس وسوده. بالحبر تقدو به بيضا لياليه
• ولا تجد كل من قيكفه قلم • اذا دعاه الى معنى يلبيه

وشتان بين بليغ ان خطت يمينه على رق تجعل كل رقيق من اللفظ
سدى. او خطت قدم قلمه الى صنعتي تقال له الطرس اني نذرلك

ما

ما في بطني لحرارة اذا انشى انسى سحبان وسحب عليه ذيل البراعة
وحاز قصبات السبق بتلك البراعة. وبين كاتب يسود الاوراق
بالالفاظ ليس لها عند اهل الادب نفاق. وعبارات عارية عن
الفصاحة وارده على حسب الاتفاق. ولله در القائل

• ان بعض الفرض منه هذا • ليس شيا ولبعض احكام
• منه ما يجلب البراعة والفضل ومنه ما يجلب البرسام

لكن الانسان فلما عرف قدر نفسه. وكل حيوان يطرب طنين
راسه. وقد قيل ان لكل ساقطة لاقطة. وكثير ما تورد بعض
القضايا على سبيل المغالطة. ورحم الله القائل

• لو ابيك مانب المعالي • الى كرم وفي الدنيا كريم
• ولكن البلاد اذا اضمحلت • وصوح نبتها رعي الهشيم

وبعد فالعذر عند كرام الناس مقبول. ومنهم العفو مامول
وسؤل. ونسال الله والتوفيق. والوصول بالهداية الى
اقوم طريق. وان يكون لنا في الاهل خليفة. وفي السفر نعم
الرفيق. وان يجمعنا من حيث حزب وفريق. والحمد لله تعالى
على الدوام. ونسال الله تعالى كما بدانا حسن
الابتداء ان يرزقنا حسن الختام. وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم
تمت

وهو ثلاثة فصول

الباب ـــــ الثاني ـــــ

في الهدايا والاعتذار والاستعفاء

وهو ثلاثة فصول

لئن ثلمت هذي صروف النوائب
فقد اخلصت سبكي بنار التجارب

وفي الادب الباقي الذي هو كاسمه
غنا، من الاموال عن كل ذاهب

فكم غاية ادركتها غير جاهد
وكم رتبة قد نلتها غير طالب

وما هل وان في الطلاب بحلمه
ولا كل ماض في الامور بصائب

سمت بي الى العلياء نفس ابية
ترى اقبح الاشياء اخذ الرغائب

بعزم يريني ما امام مطالبي
وحزم يريني ما وراء العواقب

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد المخطوطات العربية - الكويت

اسم المخطوط جامع الأغلبات الغريبة في الديار المصرية

اسم المؤلف محب الدين محمد تقي الدين أبي بكر بن داود الحنفي ، المتوفى ١٠٠٦هـ/١٥٩٧م

عدد الأوراق ٤٦ المقاس ١٨ × ٣٠ سم

مصدر التصوير مكتبة الأسد الوطنية - دمشق (الظاهرية - عن المخزون)

الرقم في مصدر التصوير ٦٩٨٥ مجموع

تاريخ التصوير ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٧هـ = ٢٥/١١/١٩٨٦م

ملاحظات نسخت كتبت بقلم معتاد متأخر . ولبقية العنوانات بالحمرة . وهي ناقصة (كتاب الأول) .

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تمت